قصص بوليسية للأولاد

لغز الخريطة العجيبة



قصص بوليسية للأولاد
تصدر أول كل شهر

المغامرون الثلاثة

فى

لغز الخريطة العجيبة

المغامرة رقم ٩٢

بقلم
عبد الرحمن حمدى

دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ شارع كورنيش النيل - القاهرة ج. م. ع

المغامرون الثلاثة

عامر :

في الخامسة عشر من العمر ، هو الرأس المفكر للثلاثة المغامرين . جرئ مقدام ، لا يهاب المخاطرات والمغامرات ، ولا تقف أمام شجاعته العقبات . يتحلّى بالصفات الإنسانية المثالية والأخلاقيات . يقدّم يد المساعدة والمعونة لكل من هو في حاجة إليها ، ولا مطمع له إلاّ تأدية الواجب وإرضاء الضمير. وهو شديد التعلق بأخيه عارف ، وأخته عالية ، وبعائلته . وفوق ذلك فهو الرياضي المبرّز ، وبطل مدرسته في العدو والقفز والسباحة . وكل هذا لم يمنعه من التفوّق في دراسته ، والاطلاع والبحث في الكتب العلمية والثقافية . وأهم هذه الكتب ما كان يبحث في حياة الحيوان والطير والأسماك ، وهي هوايته المفضلة التي يمارسها في أوقات فراغه . .

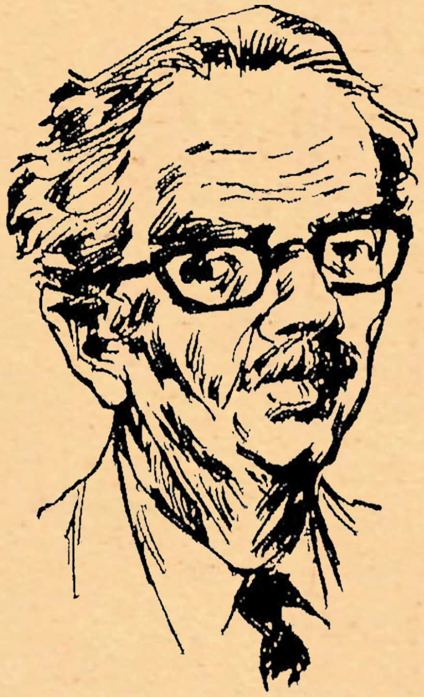
عارف :

في الرابعة عشر من العمر . يفكّر في تأنٍ ورويّة ، وتفكيره متّزن وسليم . هادئ حتى في وقت المآزق والورطات ، ولوع بالمغامرات والرحلات والأسفار . وهو الفرملة التي تحدّ من اندفاع المغامرين الثلاثة وقت الخطر . مجتهد في دراسته ، ورياضي ممتاز . يحب

الحيوانات ويعطف عليها ، ويظهر حنانه هذا فى تعلقه بقطه الأسود الشقى « مرجان » .

عالية :

فى الثالثة عشر من العمر . ذكيّة ، لمّاحة ، سريعة البديهة ، قويّة الملاحظة . ترى بثاقب نظرها ما لا يراه عامر وعارف ! وهى خفيفة الظلّ ، مرحة ، وديعة ، رابطة الجأش ، باشّة الوجه ، خاصة عندما تتعقد الأمور ، ويشتد الخطر !


الجدّ عمران

كان عارف يرقد على سريره إثر نوبة من الإنفلونزا الحادّة أصابته منذ أسبوع . عندما دخل عليه أخوه الأكبر عامر وقال له : كيف حالك الآن يا عارف ؟ . ولما لم يتلقّ منه رداً غادر الغرفة .

وخارج الباب قابل أخته عالية وكانت فى طريقها للسؤال عن صحة أخيها ، فحذّرها قائلا : أنصحك بعدم الدخول ، فحتى قطه المحبوب مرجان الذى لا يفارقه لحظة ، طرده من الغرفة ، بالرغم من إلحاحه فى الدخول ، وموائه المستمر .

قالت له عالية : أنا أيضاً كنت مريضة ولكنى لم أفعل مثله ! فضحك عامر وقال لها : لأن البنات يتحملن عادة أكثر من الأولاد !

فقالت عالية وهى تتنهد : لا بأس ، ربما يخرجه جدّو عمران من حالة الكآبة التى تلازمه عندما يصل باكراً !

وجدّو عمران هو جدّهم لأبيهم ، يحبونه حبًّا جمًّا . ويترقبون زيارته باشتياق من آن إلى آخر .

أرسل الجدّ خطاباً بأنه سيصل إلى القاهرة ، متعلّلاً بأن له وقتاً طويلاً لم يرهم فيه !

أخذ الإخوة الثلاثة يتناقشون فيما بينهم : ترى ما هى أسباب هذه الزيارة المفاجئة ؟ وهل يتحمل عجوز مثله مشقة السفر الطويل ؟ لمجرد رؤية أحفاده ؟

وأخيراً قالت عالية : ربما كان جدّو يشعر بالوحدة !

فأجابها عامر : أو ربما كان هناك سبب آخر نجهله لهذه الزيارة المفاجئة .

* * *

والإخوة الثلاثة : عامر وعارف وعالية ليسوا ككل الأطفال . فهم يمتازون بالذكاء الخارق ، وبسرعة البديهة الحاضرة ، وبالشجاعة الفائقة ، ورجاحة العقل ، وبعد النظر . وما يميزهم عن غيرهم هو حبّهم للمغامرات والمخاطرات ، ومحاولة اجتياز كل ما يصادفهم من عقبات .

كما أنهم يمارسون العديد من الهوايات ، لعل أبرزها شغفهم بحل طلاسم الألغاز والأسرار التى تصادفهم فى الحياة ، وهم ينجحون دائماً فى ذلك ، ويصلون فى النهاية إلى هدفهم ، ولم يفشلوا فى ذلك ولو لمرة واحدة !

والأخ الأكبر عامر هو الرأس المفكر المدبّر ، الذى لا يعصى عليه لغز . يلجأ عارف وعالية إليه فى كثير مما يستعصى عليهما كشفه ، وقد كان دائماً عند حسن ظنهما به .

وعارف هادئ متزن ، غير متسرع ، يأخذ الأمور بتأنٍ وروية ، فهو صمام الأمان لهذا الثالوث !

أما عالية الصغرى فهى رقيقة جذابة ، لمّاحة ، ذكية ، لا تفوتها شاردة ولا واردة ! وكم كان لملاحظاتها الدقيقة من أثر حاسم فى الوصول إلى الحلول الصحيحة .

وكان والدهم يشجعهم على ما يقومون به من أعمال ، طالما أنها لا تتدخل فى أعمالهم المدرسية . بل كان يفخر ويزهو بهم عندما يصل إلى سمعه إعجاب الأهل والأصدقاء بهم ، وبمغامراتهم ، وكشفهم الأسرار والألغاز المستعصية المبهمة !

* * *

وصل التاكسى يحمل الجدّ عمران ، وكانت عيونهم الستّ ترمقه من وراء النوافذ !

إنه عجوز حقًّا ! . . كان يتوكأ على عصاه ، بالكاد تقوى ساقاه على حمله . لاشك فى أنه يشعر الآن بالإرهاق بعد الرحلة الشاقة الطويلة .

دخل عمران المنزل وجلس وسطهم وهو يتفرّس فى وجوههم . صحيح إنه عجوز فى الثمانين من عمره ، ولكن علامات الذكاء كانت تشعّ من عينيه البرّاقتين .

ألقى عليهم الجدّ نظرة فاحصة ثم قال : أنت عامر . . وأنت عارف . . وأنت عالية طبعاً ! إنكم لم تتغيّروا منذ زيارتى لكم فى العام الماضى .

نطق عامر وعالية فى صوت واحد : هذا صحيح يا جدّو ! ولكن طولنا زاد قليلا !

أما عارف فقد لزم الصمت كعادته ، ثم ما لبث أن اندفع خارجاً يقصد حجرته ! . .

اندهش الجدّ عمران من تصرّف عارف الغريب . ولكن عالية اعتذرت له ، وأوضحت أن أخيها كان مريضاً بالإنفلونزا ، وأن الرقاد الطويل ربما أثّر على أعصابه ! ولكنه



دخل « عمران » المنزل وجلس وسطهم يتفرس فى وجوههم

فى العادة ولد مهذب ، دائم الحركة والنشاط .

قال الجد عمران : عارف فى حاجة إلى تغيير الهواء والمكان بعد مرضه ، وأنت أيضاً يا عالية ، وأنت يا عامر . ما رأيكم فى إجازة قصيرة تقضونها بمنزلى فى مرسى مطروح ؟

نظرت عالية إلى والدها نظرة استعطاف ، وكان يجلس معهم ، وكأنها تستحثه على قبول هذه الدعوة الكريمة .

وافق الوالد فى الحال ، على أن يلحق بهما عامر خلال أيام ، بعد أن ينجز له عملاً هاماً كلفه به . وقال إن الفرصة سانحة ، خاصة أن إجازة آخر السنة سوف تبدأ بعد أربعة أيام .

نادت عالية على أخيها عارف ، فجاء فى تكاسل وتراخ ، وزفت إليه الخبر المفرح . وهنا فقط انفرجت أساريره عن ابتسامة مشرقة عريضة .

قال الجد عمران : إن منزله يوجد على بُعد قليل شرق مرسى مطروح ، ويقع فى سفح ربوة صخرية عالية قريبة من شاطئ البحر . وأضاف أن بهذا الشاطئ بعض الصخور العالية ، وهي تشبه صخرة روميل الشهيرة ، وبعض الكهوف الصغيرة المهجورة ! ! . .

صمت عمران قليلاً ، ثم نظر إليهم مبتسماً فى دهاء ، وقال : وهناك سبب وجيه آخر بجانب النزهة وتغيير الهواء ! ! . .

نطق عارف – لأول مرة منذ أسبوع – وهو يكاد يطير من الفرح : وما هو هذا السبب ياجدّو ؟ فأجابه :

عندى هناك لغز صغير غامض ، أرجو أن تساعدونى على حله ! !

وعندما سمع عامر بهذا الخبر ، شعر بالحسرة والندم لأنه لم يصب مثلهما بالأنفلونزا ، وبانشغاله فى عمل هام ، حتى كان يصاحبهما فى الحال ليشترك فى حلّ هذا اللغز الغامض الصغير !

* * *

وصل الجد عمران وعارف وعالية إلى الإسكندرية ، وكان عارف يحمل بين يديه قطة « مرجان » الذى لا يفارقه لحظة واحدة . ومرجان قط أسود ضخم ذو عيون خضراء كبيرة كعيون النمر .

وبعد ساعة انتقل الأربعة إلى قطار آخر ، أخذ ينهب بهم الأرض فى سرعة إلى مرسى مطروح .

كان عارف وعالية ينظران من نافذة القطار ، ويدهشان

من رؤية رمال الصحراء المترامية الأطراف ، ومن طواحين الهواء المنتشرة على الساحل ، وهى تدور بفعل الرياح .

شرح لهما عمران عمل هذه الطواحين ، وأنها تستخرج المياه من جوف الأرض لريّ الصحراء .

أما القط مرجان فكان يستغرق فى النوم ، لا تهمّه مياه البحر الزرقاء ، أو رمال الصحراء الصفراء ، أو طواحين الهواء !

وعندما وصل القطار إلى مرسى مطروح ، ركب الأربعة الطفطف الذى ينتشر استعماله فى هذه المدينة . والطفطف هو عربة صغيرة تظللّها تندة من القماش ، ويجرها حمار ! وكان الحمار يتهادى وهو فى طريقه إلى دار عمران مسكن العائلة من قديم الزمان .

وتقع هذه الدار العتيقة أسفل ربوة صخرية عالية تعرف باسم صخرة عمران ، وتبعد حوالى نصف كيلو متر من مرسى مطروح ، ومائة متر من شاطئ البحر الأبيض المتوسط .

وعائلة عمران هى أقدم وأعرق من سكن هذه المنطقة ، وكان سائق الطفطف يعرف الجدّ عمران جيداً .

كان عمران يحذّر السائق من وعورة الطريق ، وخاصة

عند حافة منحنى يدور حول الصخرة العالية !

قال السائق : لا تخافوا ما دام معنا قط أسود ! !

فضحك عمران وقال لعارف : أسمعت يا عارف ! سوف يشتهر قطك الأسود مرجان فى هذه الناحية !

اندهش عارف وسأل جدّه عن السبب ، فأجابه الجد بأن الناس هنا يؤمنون بالخرافات ، ويتشاءمون مثلاً من القط الأبيض ، فى حين يتفاءلون بالقط الأسود ! !

ثم استرسل فى حديثه قائلاً : جاءنى أحد الصيادين من مدة ، وكان يرتعد من الخوف ، وأخبرنى أنه شاهد ثمانية من الغربان السوداء تطير فوق رأسه ، وذلك عندما كان يقف . . . .

توقّف الجد فجأة وهو يتردد فى الحديث ! فسأله عارف : أين كان يقف هذا الصياد ؟ . . فأجابه عمران : قريباً من هذا المكان ! ! . .

وهنا التفت السائق نحوهما قائلا : هنا . . على حافة صخرة عمران ! . فانبرى له عمران وهو يحاول تغيير مجرى الحديث : هذا كلام فارغ ! . . ما هى إلا خرافات وخزعبلات ! ! . .



دار عتيقة تقع أسفل ربوة صخر عالية تعرف باسم « صخرة عمران »

وفى النهاية وصل الطفطف بالقافلة الصغيرة أمام بوابة حديقة الدار . فقال عمران : ها قد وصلنا والحمد لله ، وها هى مبروكة فى انتظارنا .

صاحت عالية فى دهشة : يا له من منزل كبير ! كيف تعيش فيه وحدك يا جدّو ؟ . وقال عارف : ومن تكون مبروكة هذه ؟ فأجابه عمران بأن مبروكة ترعى شئونه ، وأنها التحقت بخدمته منذ ستة أشهر تقريباً !

نظر عارف وعالية إلى مبروكة ، وكانت تلبس جلباباً أسود ، وتضع طرحة سوداء على رأسها ، ولها أنف مقوّس ، وعينان مستديرتان كعيون البوم !

خيّل إليهما أن مبروكة لا ترحّب بقدومهما ، وأنها تنظر إليهما شذراً ، ولذلك فهما لم يشعرا نحوها بالميل أو العطف من النظرة الأولى !

دخل الجميع إلى صالة المنزل الرحبة ، حيث وقف عارف وعالية وهما مندهشان من أثاث المنزل القديم الأثرى . شاهدا ساعة مرتفعة ، ذات بندول طويل يروح ويجىء يميناً وشمالاً ، وكانت تدقّ بصوت عالٍ يرنّ فى أرجاء المنزل . وبجوار الساعة شاهدا سحّارة قديمة مطعمة بالعاج والصدف .

وتزيّن الحوائط رؤوس غزلان محنطة ذات قرون حادة ، وهى مما كان يصيدها جدّهما فى شبابه فى الصحراء المجاورة .

أما القط مرجان فأخذ يموء بصوت عالٍ ، ورفع ظهره وذيله إلى أعلى وهو يتحفز للهجوم ، فقد فوجئ ببغاء خضراء كبيرة فى قفص جميل ، وهى تصيح فى وجهه : ازيّك ! إنت مين ؟ أهلاً وسهلاً ! . .

صعد عارف وعالية إلى الدور العلوى ، وكان السلّم ضيقاً ومظلماً ، ومبروكة تسير خلفهما على ضوء مصباح صغير ، لأن الدار كانت خلواً من الكهرباء ! !

فتحت مبروكة باباً وقالت لعارف : هذه هى حجرتك ، والغرفة المجاورة لأختك .

ولكن قبل أن يتحرك عارف وعالية . . حدث شىء غريب ! ! . . فقد وصل خادم صغير فى سن عارف تقريباً ، وهو يحمل لهما حقائبهما ، ثم وضع الحقائب بجوار الباب ، وانحنى فجأة يلتقط شيئاً ملقى على الأرض !

رأته مبروكة وهو يفعل ذلك فصاحت فيه بغضب : ماذا تفعل يا سمارة ؟ . فأجابها : وجدت عقب سيجارة ! . . فصرخت مبروكة فى وجهه : عقب سيجارة ! ! . .

لا أحد هنا يدخّن ! .. أنت تتوهّم ! هذه قطعة ورق صغيرة ! .

ثم أسرعت فى التقاطها ودسّتها فى جيب جلبابها !

دخل عارف حجرته يتبعه سمارة حاملاً حقيبته ، على حين صحبت مبروكة أخته عالية لتفتح لها باب غرفتها المجاورة .

نظر عارف إلى سمارة فشعر نحوه بالميل والعطف فى الحال ، بخلاف ما كان يشعر به نحو مبروكة . وسأله هل هو متأكد مما رآه أمام الباب ؟ . فأكّد له سمارة أنه رأى عقب سيجارة !

من يعلم ! ربما كانت مبروكة تدخّن سرًّا وتخفى ذلك عن جدّه ! ولكن لا . . . إنه لا يعتقد ذلك ! لا بدّ أن يكون هناك تفسير آخر !

كانت غرفة عارف متسعة ، بها سرير ، ودولاب قديم ، ومائدة عليها مصباح وشمعة وعلبة كبريت ، وطشت وإبريق مملوء بالماء لغسيل الوجه ، ونافذة تطل على حوش المنزل .

أطل عارف من النافذة .. هذا هو البحر يلوح أمامه من بعيد بزرقته ، وعلى يمينه تبدو « صخرة عمران » وكأنها شبح رابض كبير غامض ! وقد هيئ له أنه شاهد شبح غربان

سوداء تحوم حول الصخرة ، ولكنه لم يتمكن من عدّها ، وهل هى ثمانية كما ذكر جدّه ، أو أكثر أو أقلّ ؟ ربما كانت تزيد أو تنقص .. إنه غير متأكد .. فقد ابتدأ الظلام يقترب .

أضاء المصباح والشمعة فسطع النور ، فرأى القط مرجان وهو يتمدّد على السرير . قفز القط فجأة وتسلّل إلى باب صغير مقفل ، وأخذ يموء ! .

وكانت من عادة عارف أن يتحدث مع مرجان ، وكان مرجان يفهمه جيّداً ، ويناغيه ويلاغيه ، وكأنه يستجيب إلى حديثه !

قال عارف لمرجان : ماذا اكتشفت يا مرجان ؟ فئران ؟ . فأخذ مرجان يخربش فى الباب بمخالبه وكأنه يقول لعارف : افتح هذا الباب من فضلك !

لم يكن هذا الباب الصغير مقفلاً بالمفتاح ، ولكن عارف وجد صعوبة كبيرة فى فتحه ، إذ كان يبدو أنه لم يفتح منذ عشرات السنين !

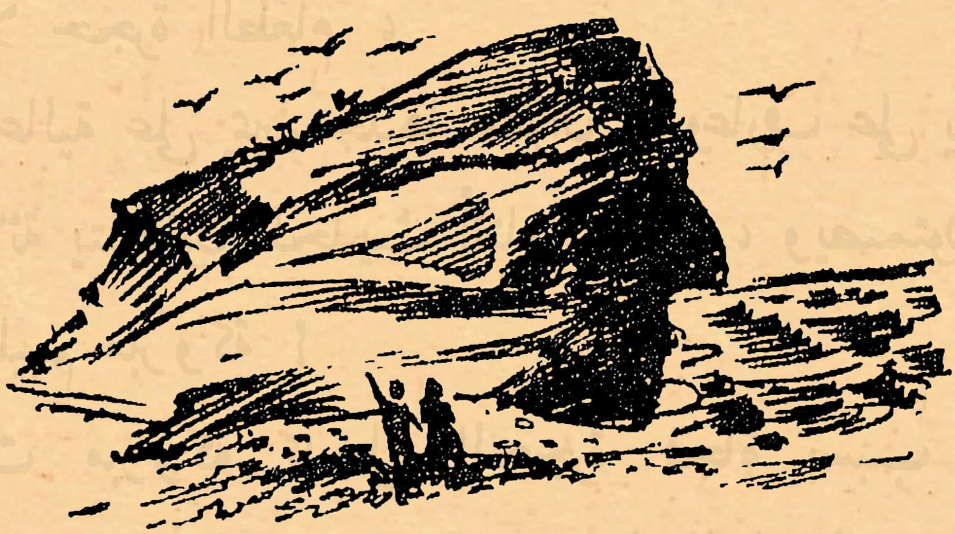
وجد عارف أمامه فراغاً يشبه غرفة صغيرة جدًّا ، كما رأى ضوءاً ينبعث من تحت عقب باب فى حائطه مقابل !

وكانت مفاجأة سارة عندما فتح هذا الباب فجأة ، وأطلّت منه رأس عالية !

صاح الاثنان : والآن يمكننا أن نتزاور ، ولا حاجة لنا باستعمال الطرقة الخارجية . . . بعيداً عن أعين مبروكة !

كانت غرفة ضيّقة تشبه الدولاب الكبير ، وأرضيتها خشبية ، بخلاف باقى الحجرات فأرضيّاتها بلاطية ، ربما كانت تستعمل لحفظ الملابس فى قديم الزمان . أو من يعلم ؟ ربما كان لها استعمال آخر ! .

* * *



ثرثرة قبل النوم

همست عالية فى أذن أخيها وكانا يهبطان السلم الضيق المظلم : ما رأيك فى مبروكة ؟ إنها كاذبة ! لقد رأيت بنفسى عقب السيجارة وكانت ذات طرف مذهّب !



عالية

فأجابها عارف : وهذا يعنى أن سمارة كان صادقاً ! . .

دخلا حجرة الطعام ، وجلست عالية على يمين جدّها عمران ، وعارف على يساره ، وكان الثلاثة يتبادلون الحديث أثناء الطعام ، ويصمتون كلما دخلت عليهم مبروكة !

وكانت مبروكة تدخل الحجرة فجأة بسبب وبدون سبب ، وبدون استئذان ، مما دعاهما إلى الشك فى تصرّفاتها ، وأنها تتجسس وتتصنت إلى الحديث ! ولذلك ما إن فرغوا من العشاء حتى اصطحبهما عمران إلى حجرة المكتبةوأغلق بابها !

كان عارف وعالية ينظران إلى الأرفف العديدة ، ويتطلعان بإعجاب إلى آلاف الكتب القديمة المصفوفة عليها باعتناء زائد ، ونظام جميل .

وكانا يتعجبان ، هل قرأ جدّها كل هذا العدد الضخم من المجلدات ؟ ولم لا ؟ إنه رجل عجوز ووحيد ، ومثقف . ولديه متسع من الوقت للقراءة .

جلسوا صامتين إلى أن بدأ الجدّ الحديث وهو يبتسم : والآن يمكننا أن نتكلم بحرية ! فأجابه عارف ! نعم . وقد آن الأوان لأن تبَر لنا بوعدك ! . فابتسم عمران وهو يتصنّع الدهشة : وعد ! . . أىّ وعد . . فقالت عالية باهتمام : اللغز الغامض الصغير ! ألم تعدنا بأن نساعدك على حلّه ؟ . .

صمت عمران لفترة قصيرة ، كان عارف وعالية يفكّران خلالها : هل ترى هناك علاقة بين هذا اللغز المبهم . . وبين أعقاب السجائر المذهبة ؟ أو بالحجرة الصغيرة التى اكتشفاها ؟ أو بمبروكة الغامضة ؟ أو بالغربان السوداء وصخرة عمران ؟ أو بأى شيء جديد آخر قد ينجلى فيما بعد ؟ . .

وأخيراً خرج عمران عن صمته وقال : كانت مبروكة ضمن أسباب سفرى إلى القاهرة ، بجانب شوقى إلى رؤيتكم طبعاً ! فقد أردت أن أتخلص من عشرتها المملّة الثقيلة بعض الوقت . ولما أخبرتها بعزمى على السفر وجدت منها ترحيباً كبيراً ! ! . .

فسألته عالية وهى تتعجب : ولماذا هى ترحّب بغيابك ؟

فأجابها عمران : هنالك سبب واحد . . هو رغبتها فى إبعادى عن المنزل ! . . وهذا موضوع سيأتى الكلام عنه فيما بعد !..

ثم أضاف قائلا : إن مبروكة كانت لا تتوقع رجوعى من القاهرة بهذه السرعة ، ولذلك فهى لم ترحّب بوصولى المفاجئ ، خاصة أننى كنت أصطحبكما معى ! . . وهو ما لم تكن تنتظره ! . .

فقالت له **عالية** : وإذا كانت هى كذلك غريبة الأطوار ، وأنت لا تطيقها ، فلماذا لا تستبدلها بغيرها ؟ . .

فأجابها عمران : لقد تعوّدت على أفعالها فأصبحت لا أهتم بها ، وإنى أتحملها على مضض ، فليس من السهل العثور فى هذه الناحية النائية على مثلها . فهى تقوم على شئون المنزل بأكمله من طهى ومسح وكنس . ولا تنسى أيضاً أننى كهل فى الثمانين

يصعب تلبية طلباته . . . وإرضاء نزواته ! ! . .

قال عارف فجأة : ولكن ما علاقة كل هذا باللغز الغامض ! . .

وهنا نهض عمران من مقعده بصعوبة ، لأنه كان يشكو من الروماتيزم فى ساقيه ، واتجه نحو رفّ معين يتوسط المكتبة ونظر إليه متفحصا ! . . ولكنه ما كاد يصل إلى الرف ويمد يده ليتناول كتاباً ، حتى انفتح باب المكتبة فجأة ، ودخلت مبروكة على غير انتظار ! ! . .

قالت مبروكة وهى تنظر إلى عمران : ألا تظن ياسى عمران أن الوقت متأخر عليهما وحان ميعاد النوم ! ! . وخاصة بعد رحلة اليوم الشاقة الطويلة من القاهرة ! . .

* * *

صعد عارف وعالية السلّم الضيّق المظلم وهما يكادان ينفجران من الغيظ والغضب . . . ومبروكة تتبعهما ككلب الحراسة الأمين !

يا لحظهما العاثر ! . . كانا على وشك معرفة اللغز من جدّهما ، لولا دخول مبروكة المفاجئ الذى أفسد كل شيء . هذه اللعينة مبروكة . . إنها تظهر دائماً فى غير

الوقت المناسب ! . .

دخل كل منهما إلى غرفته ، وأقفل بابه من الداخل بالمفتاح !

حاولت مبروكة أن تفتح باب عارف ، ولكنها وجدته مغلقاً . وعندئذ سمع صوتها الرفيع وهى تقول : لا تقفل الباب بالمفتاح . . إذ ما العمل لو شب حريق ! والفطور الساعة التاسعة صباحاً ! . .

رأى عارف أن يتحدث إلى عالية ، ففتح باب الغرفة الصغيرة المسروقة ليناديى عليها ، ولكنه كاد يصطدم بها ، إذ خطر لها نفس الشيء ، وكأنهما كانا على موعد !

دعا عارف أخته لدخول غرفته ، بعد أن كان قد استعد لمفاجآت مبروكة . . وأقفل الباب ! دخلت عالية غرفته وجلست على السرير ثم قالت له : كان جدّو على وشك أن يبوح لنا باللغز ! فأجابها : هذا صحيح . . ولكن هل لاحظت شيئاً ؟ . فقالت : نعم . . عند ما قام جدّو وسار حتى وصل إلى المكتبة ، ثم توقف فجأة عندما ظهرت الشيطانة مبروكة !

وبعد تفكير قصير قال لها : هل تظنين أن لهذه المكتبة

علاقة باللغز ؟ . فأجابته على الفور : هذا ليس ببعيد . . بل محتمل جداًّ ! . .

كانت عالية تتمدد على السرير ، في حين جلس عارف القرفصاء على البساط ، ومكثا هكذا ينظران إلى بعضهما فى سكون الليل !

وعلى حين فجأة قفزت عالية وهى تهتف : إنى أسمع صوتاً غريباً ! فهمس لها عارف وهو يطمئنها : الأصوات الغريبة كثيرة هنا ! ربما كانت أصوات أمواج البحر . . أو رياح الصحراء . . أو غربان تعشّش فى سقف الحجرة .

قالت عالية بعد أن هدأت : لو كان عامر معنا الآن لَهوّن علينا الأمر . . ولاشترك معنا فى إجلاء هذه الخفايا . ما رأيك فى أن نكتب له خطابا ؟ . . فبرقت عينا عارف وقال موافقاً : هذه فكرة جميلة ، وسنشترك معاً فى كتابته ونقص عليه كل شىء !

* * *

سطر عارف وعالية خطابا لأخيهما عامر ذكرا له فيه ما صادفاه بالتفصيل منذ مغادرتهما القاهرة حتى هذه اللحظة . ووصفا له فيه المنزل العتيق الذى يشبه القلعة ، وخاصة المكتبة

الفريدة ، وعثورهما على الغرفة المسحورة .

وتحدثا عن مبروكة وغرابة أطوارها ، وسمارة المسكين اللطيف الوديع . وعن اكتشافهما لعقب السيجارة المذهب ، وريبتهما فى مصدرها . . مع أن مَنْ فى المنزل لا يدخنون وهو الأمر الذى يدعو إلى شكهما فى وجود زائرٍ غريب فى المنزل بدون علم جدّهما !

كما ذكرا له ما حدث فى المكتبة مع جدهما ، وفى ترجيحهما أن لرفّ الكتب علاقة مباشرة باللغز . وكذلك خرافة الغربان الثمانية السوداء التى تحوم حول صخرة عمران ، واعتقادهما بأن فى الأمر سرًّا يخفيه عنهما جدّهما !

وأخيراً طلبا منه أن يشترك معهما فى التفكير فى حل هذه الألغاز ، إلى حين وصوله إلى مطروح ، وقالا له إنه إذا توصّل إلى حلّها فى هذه الأيام القلائل ، كان بلا شك أذكى منهما ، لأنهما لم يتمكنا من حلّها حتى الآن ! ! .

* * *

الكهف


سمارة

استيقظ عارف مبكراً ، وصبّ قليلا من الماء فى الطشت ، وغسل وجهه وارتدى ملابسه ، ثم دخل غرفة عالية ليوقظها عن طريق الغرفة الصغيرة المسروقة .

ولكنه أصيب بخيبة أمل عندما وجد أنها استيقظت قبله وارتدت ملابسها ، وأن لها مدة وهى فى انتظاره ، وكان يعتقد أنه أنشط منها .

أخبرته عالية أنها شاهدت من نافذتها مبنى قديماً ، يشبه الإسطبل أو الزريبة ، وأنها تريد أن تستكشفه ! .

فقال لها : بل نذهب الآن إلى البحر لنتريض قليلاً .

تسلّلا من الغرفة على أطراف أصابعهما ، فقد سمعا صوت مبروكة صادراً فى بئر السلم ، ولئلا يزعجا جدّهما فى هذا الوقت المبكر .

قالت عالية : فلنذهب إلى الجانب الآخر من الطـرقة ، لعلنا نجد مخرجاً بعيداً عن غرف النوم .

سارا فى الطرقة إلى أن وجدا فى نهايتها سلماً ضيّقاً جداً هبطا منه ، فإذا بهما فى المطبخ ، ثم خرجا منه إلى حوش واسع ، وهناك صادفا سمارة وكان يسير نحوهما .

حياهما سمارة تحية الصباح ، فردّا له التحية ، وسألاه عن طريق البحر . فقال لهما سمارة : أنتما ذاهبان إلى البحر الآن ! ! . فأجابه عارف : نعم . فاليوم حار ، ونريد أن نرجع قبل ميعاد الإفطار فى الساعة التاسعة . فدلّه سمارة وهو يشير إلى الطريق : من هنا إلى اليسار . . وهناك طريق آخر يتفرّع إلى اليمين . . إيّاك أن تسير فيه ! . . احذر فهو يوصّل إلى الصخرة ! صخرة عمران ! لا تقترب منها ! . .

كانت عالية تستمع إلى الحديث وهى تعجب فى نفسها ، هل هناك سرّ غامض يحيط بهذه الصخرة أيضاً ؟ أكان ينقصهما سر جديد ! ألا يكفيهما ما فى داخل المنزل من أسرار ! . .

كانت عالية ترمق سمارة وهو يختلس النظرات من وقت إلى آخر ناحية الحظيرة . ففاجأته بالسؤال : قل لى يا سمارة ،

ألا توجد حيوانات فى هذه الحظيرة ؟ . فأجابها : لا . . لا توجد . . إنها حظيرة مهجورة ! . . فقالت له : هل أنت متأكد ؟ حتى ولا حيوان واحد ! فأجابها بعد تردد شديد لا . . لا يوجد ! . .

ضحكت عالية وقالت له : حسناً يا سمارة . . ربما عاودت سؤالك فى فرصة أخرى ! على كل حال نحن أصدقاؤك ، ونؤيّدك فيما قلته بالأمس . صحيح أنه كان عقب سيجارة ، وليس ورقة كما ادّعت مبروكة ! لقد رأيته بنفسى وأنا متأكدة ! . .

تركاه وسارا فى طريقهما إلى شاطئ البحر ، وبعد قليل سمعا صوت سمارة وهو يصيح عليهما : احذرا الصخرة ! . . اتبعا الطريق الأيسر ! . .

أما سمارة فقد تلفّت يمنة و يسرة ، وعندما رأى نفسه وحيداً بلا رقيب ، استدار واتخذ طريقه نحو الحظيرة المهجورة ! ! . .

* * *

وصل عارف وعالية إلى مفترق طريقين ، يتجه أحدهما يميناً ، والآخر يساراً . وهنا وقف الاثنان يفكّران . فسألته عالية : فيم تفكّر يا عارف ؟ فضحك عارف وأجابها :

فى نفس الشىء الذى تفكرين فيه أنت ! ! . .

كان الاثنان يفكّران فى اتخاذ الطريق الأيمن ، ضاربين بتحذير سمارة عرض الحائط ! . . كانا يحلمان بالمغامرة ، غير آبهين بما قد يتعرضان له من خطر !

فالطريق الأيمن يؤدى إلى الصخرة ، وهما يتشوقان لرؤيتها ، يشدّهم إليها ما يحيط بها من أسرار وخرافات ! . ولكن عالية قالت : فلنؤجل هذه الزيارة إلى وقت آخر ، لأن جدّو لو علم بذلك ربما غضب منا . فأجابها عارف : لك حق . . فلنذهب الآن إلى البحر ، ربما شاهدنا الصخور والكهوف التى حكى عنها جدّو ! .

وصلا إلى الشاطئ ، وكانت الشمس ساطعة والنسيم عليلاً والبحر هادئاً ، والسكون يخيم على المكان . فلا أحد هناك فى هذا الوقت المبكر من الصباح .

خلع عارف حذاءه وجرى نحو الماء ، وتبعته عالية ، وأخذا يلعبان فى الماء الضحل وسط الأمواج الخفيفة التى تتكسر على الشاطئ الرملى الجميل .

كانا يشعران بالسعادة والحرية ، والشاطئ يخلو من الناس ، وكأنه خاص بهما ، لهما وحدهما .

توقفت عالية عن الجرى ، وأشارت إلى شاطئ بعيد : انظر يا عارف ! ألا ترى شيئاً هناك ؟ . فأجابها : أين ؟ آه - هذا شاطئ صخرى ! . فقالت له عالية بلهجة العتاب : طبعاً أنا أعرف أنه شاطئ صخرى ! ولكن ألم تلاحظ شيئاً عجيبا ؟ فأجابها بالنفى . فقالت له : إن تعاريج هذا الشاطئ تشبه وجه إنسان ! ! . . ثم ضحكت وقالت : إنه يشبه وجه مبروكة تماماً بأنفها الطويل ! . نظر عارف بدهشة إلى الشاطئ وقال : أين ؟ إنى لا أرى شيئاً ! .

أشارت له بيدها نحو الشاطئ وقالت : هذا البروز داخل البحر هو أنف مبروكة الطويل . . . وهذا التجـويف المفتوح هو فمها الواسع . . وهذا المنحنى القريب هو ذقنها المدبّب ! . . فما رأيك ؟ .

اندهش عارف من دقة ملاحظة أخته وقال لها : هذا صحيح يا عالية . . إنى أراه الآن واضحاً ! . .

وبعد صمت قصير قالت له : أهذا كل ما ترى ؟ . فأجابها : وهل هناك غير ذلك ؟ . فقالت له : ألا ترى هذا الكهف المفتوح هناك وسط التجويف ؟ . . أى داخل فم مبروكة ! !



صعدا السلم وهما يكادان ينفجران من الغيظ والغضب . . . و « مبروكة »
تتبعهما ككلب الحراسة الأمين

دقّق عارف بنظره ، إنه يرى فجوة واسعة . . هذا صحيح . . من الجائز جداً أن تكون كهفاً !

ذهبا معاً يستطلعان الفجوة ، فوجدا أنها مدخل كهف كبير يبدو أنه مهجور !

دخلا الكهف المظلم بحذر شديد ، وكان عارف قد استعد لمثل هذا الاحتمال فأحضر معه علبة الكبريت . أشعل منها عوداً فأضاء الكهف بنور خافت ، وتقدّما قليلاً قليلاً ، وبخطوات حذرة بطيئة . ولكنهما وقفا فجأة . فقد شاهدا فى ركن من أركان الكهف شيئاً لم يتبيّناه لأوّل وهلة ، ولما اقتربا منه اندهشا مما رأياه ! فقد كان : بطانية ووسادة ، وفنجان شاى مكسور .. وبجانب الفنجان .. عقب سيجارة ! ! ..

صاحت عالية : انظر ! .. إنه عقب سيجارة ! .

فأجابها عارف وهو مأخوذ : وطرفها مذهّب ! ! ..

خرجا من الكهف مهرولين ، وهما يشعران بالخوف والرهبة ، وكأن عيوناً كثيرة تتبعهما ، وتحدق فيهما !

قرّرا أن يعودا فوراً إلى المنزل ، حيث كانت الساعة الثامنة والنصف ، وقبل ميعاد تناول طعام الإفطار .

قال عارف لأخته : أنا فى حيرة ! فكل ما يحيط بنا هنا غريب مريب . ولكن . . تُرى هل توجد علاقة بين كلّ هذه الأشياء وبين اللغز الغامض الذى يخفيه جدّو؟ . فأجابته عالية : لا أعلم . . ربما ! . . لابدّ أن نعرف منه هذا السر وبأسرع ما يمكن . . اليوم ! .

دخلا المنزل وذهبا رأساً إلى حجرة المائدة وجلسا ، وكانت الساعة التاسعة إلا خمس دقائق ! حينما جاءت مبروكة وسألتهما أين كانا ؟ . فأجاباها بأنهما كانا يتنزهان على شاطئ البحر . فقالت لهما : وهل أذن لكما جدّكما فى الذهاب إلى البحر بمفردكما ، إذ ربما غضب لذلك ! . فأجابتها عالية وهى تبتسم : لا ! . ولكننى متأكدة أن جدّو لا يمانع فى ذلك . وعلى كل حال فنحن أتينا هنا للنزهة لا للحبس فى المنزل ! ولكن أين هو جدّو الآن ؟ . فقالت مبروكة : إنه يشعر اليوم بالتعب من آثار رحلة الأمس الطويلة ، وإنه سوف يتناول إفطاره فى غرفته !

حزنا لذلك كثيراً . وما إن خرجت مبروكة من الغرفة حتى قالت عالية لأخيها : مسكين جدّو ! يجب أن نسأل عليه ونطمئن على صحته .

كانت أمامهما الآن مشكلة صغيرة ! وهى كيف يمضيان هذا الصباح ؟ هل يذهبان إلى الصخرة ؟ إنها فكرة جميلة ، وإن كانت فيها بعض المخاطرة !

استقر رأيهما أن يمضيا فترة الصباح فى المكتبة ، ففيها الكثير من الكتب المفيدة المصورة التى تستحق المطالعة .

ولكن بعد خمس دقائق من جلوسهما وقعت مفاجأة سارة ! إذ دخل جدّهما عليهما فى المكتبة . فقفزا فرحين مهلّلين ، وتعلّقا به يسألانه عن صحته . فأجابهما بأن صحته فى تحسّن كبير ، وسألهما عمّا يرغبان فى عمله الآن ؟ ! . . فنظرا إلى بعضهما نظرة ذات معنى ، وبعد تردد قال عارف : أنت تعرف ماذا نريد يا جدّو ! . فأجابه الجدّ وهو يبتسم ويتصنع البراءة : ماذا ! أنا لا أعرف ! . . آه . . هل تقصد أن نكمل حديث الأمس ؟ . فاندفع عارف فى الكلام بسرعة زائدة : نعم . . نعم . . ألا تذكر ؟ . . عندما دخلت مبروكة فجأة ! كنت ستقول لنا عن اللغز الغامض ! . . . وقالت عالية وكأنها تستعجله فى الحديث : قل لنا على اللغز بسرعة ! وقبل أن تفاجئنا مبروكة ثانية ! .

كان الجدّ على وشك الكلام ، ولكن قبل أن ينطق



أخذ يقلب فى صفحات الكتاب حتى عثر على ما يبحث عنه وكان موضوعاً بين صفحتى ٧٥ ، ٧٦

بحرف واحد ، فُتح الباب ودخلت مبروكة ! ! فصمت عمران ، وظهر الغضب واليأس على وجهيهما .

قالت مبروكة وهى توجه حديثها إليهما : جدّكما مريض ، ويحسن بكما ألاّ ترهقاه بالكلام الكثير !

وهنا ثار عمران عليها وصاح فيها : أنا لست مريضاً ، وهذا ليس شأنك ! وأنا سعيد بأحفادى معى هنا .

فوجئت مبروكة بثورة عمران ، فهى لم تتعود منه هذا الانفعال والشدة ، فقالت له : كما تريد . وماذا يمكننى الآن أن أفعله ؟ . فأجابها محتداً : إركبي الأوتوبيس إلى مطروح واشترى لى الصحف والمجلات ! .

انزعجت مبروكة لأنها أدركت أن فى الأمر سرًّا ، وأن عمران يعمل على التخلّص منها . فقالت له إن لديها عملاً كثيراً فى المنزل ، ويمكنه أن يبعث سمارة بدلا منها ! فأجابها بأنه يحتاج إلى سمارة فى عمل آخر هام سيكلّفه به ! .

لم تيأس مبروكة ! بل نظرت إلى عارف وعالية وقالت لهما بابتسامة خبيثة : ما رأيكما فى أن نذهب معاً ، لتتفرجا معى على البلدة الجميلة ، وسنمر على مكتب البريد إذا كان معكما خطاب ترسلانه من هناك ! ! فاليوم جميل وحرام

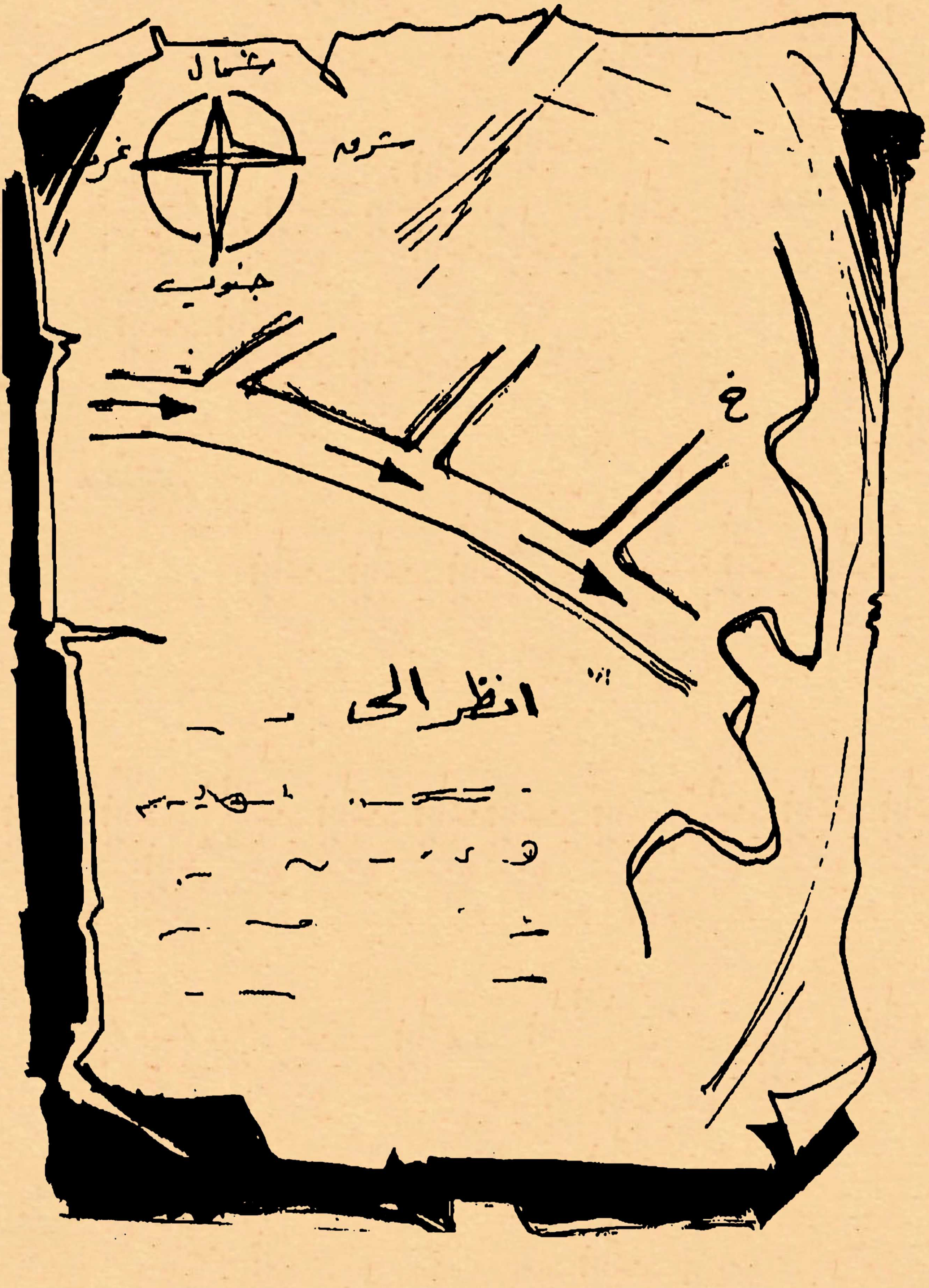
أن تقضياه داخل أربعة جدران ! . .

فقال لها عمران بهدوء : بل سيمكثان معى . أنا جئت بهما من القاهرة ليمكثا معى وليس معك ! ! لقد تمتّعا باليوم الجميل على شاطئ البحر فى الصباح الباكر قبل الإفطار كما قالا لى ، وهو أنسب وقت للتريّض !

لم تجد مبروكة بدًّا من الانسحاب من الغرفة وهى تشعر بخيبة شديدة . أما عارف وعالية فكانا يشعران بالراحة والسرور والغبطة .

ضحكت عالية وسألت جدّها : ما هو العمل الذى ستكلّف به سمارة ؟ وهل هو يخصّنا ؟ . فأجابها باسماً : نعم . هو كذلك ، ولكنى لن أخبركما به الآن فهو مفاجأة ، وستعرفانه فى وقته على كل حال .

أغلق عمران الباب بالمفتاح ، ثم نهض وتوجّه نحو الرفّ الذى وقف أمامه أمس . ومدّ يده وأخرج كتاباً صغيراً هو رواية جزيرة الكنز ، وكان مدسوساً وسط كتابين كبيرين ! ثم جلس إلى المائدة ، على حين وقف عارف عن يمينه ، وعالية عن يساره . ثم أخذ يقلّب فى صفحات الكتاب حتى عثر على ما يبحث عنه ، وكان موضوعاً بين صفحتى ٧٥ ، ٧٦

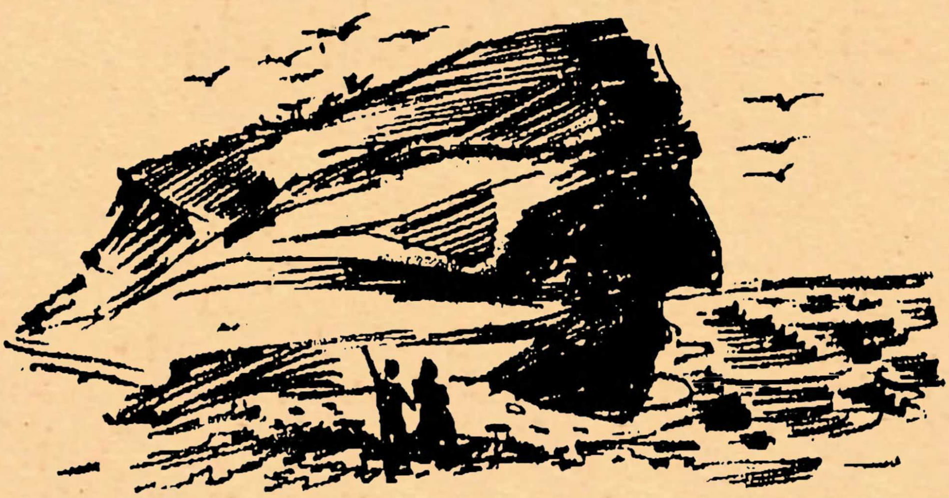


شمال
شرق
غرب
جنوب
غ
انظر الى

من الكتاب .

وضع هذا الشيء أمامه على المائدة ، وكان ورقة مطوية تبدو قديمة جداً اصفرّ لونها بمرور الزمن !

وكان ما رأياه هو خريطة رسمت عليها بعض الخطوط والتعاريج والحروف والكلمات .





مبروكة

بعد أن فضّ عمران الورقة المطويّة ، تمهّل قليلا وقال لهما : أولاً سأقص عليكما كيف اكتشفت هذه الورقة . كان ذلك بمحض الصدفة ، وكان يحتمل ألاّ أعثر عليها أبداً ! . . ثم رفع الورقة بين يديه ، وتسمّـرت عينا عارف وعالية بهـا ، لا يرخيان عنهـا البصر

استطرد فى الحديث وهو يشير إلى المكتبة وآلاف الكتب تتراص عليها : كان العثور على هذه الورقة الصغيرة هنا كالعثور على دبّوس وسط كومة من القشّ . فسألته عاليه وهى مندهشة : إذن كيف عثرت عليها ؟ .

قام عمران واتجه نحو الرفّ ، وأشار إلى مكان معيّن وقال : لفت نظرى أن كتاب جزيرة الكنز مدسوس هنا بين

الجزء الأول والجزء الثانى من هذين المجلدين الضخمين . وأنا لا أذكر أنى رأيته من قبل ! ولم أضعه فى هذا المكان ! فقاطعه عارف : ومن وضعه إذن ؟. فأجابه : هذا سؤال مهم !. وقالت عالية : لابدّ أن أحداً غيرك وضعه ! فقال عمران : هذا واضح .. ولكن من ؟ ؟.. أنا لا أعتقد أن لمبروكة أو سمارة يداً فى ذلك !. فسألته عالية : وهل سألتهما ؟. فأجابها : لا طبعاً ! وهل كنت تسألينهما أنت لو كنتِ فى مكانى ؟. فأجابته فوراً : لا .. لأنهما لو كانا يعلمان بوجودهما فلا داعى للسؤال ، وإذا كانا يجهلان فلا داعى للفت نظرهما .

عندما فضّ عمران الورقة المطوية ووضعها على المائدة ، كانت عيون عارف وعالية تحدق فيها باهتمام زائد ، ويتعجبّان لما خطّ عليها بالقلم الرصاص !

كان عمران ينظر إلى الخريطة وهو صامت ؛ إلى أن ابتسم وقال : ما رأيكما فى هذه الخريطة ؟ فبرقت عينا عارف وقال : إنى أعتقد أنها ناقصة ، ومع ذلك فهى محيّرة ومشوّقة !. وأضافت عالية : إنى أرى أن الخريطة ترشد إلى مكان ما ! فقال عمران : ولكنها غير واضحة

صحيح هى ترشدنا إلى مكان ما ! ولكن إلى أين ؟ . . ولماذا ؟ ؟ . .

كانت عالية تتفحص الخريطة بدقة ، وسألت جدّها : وما معنى حرف (خ) المكتوب فى نهاية الطريق الثالث على اليسار ؟ . فأجابها عمران بلهجة الشكّ : ربما كانت تعنى « خطر » ، أى أنها تحذّر من سلوك هذا الطريق ! ولكن عالية قالت : وربما كانت تعنى « خندق » أو « خزانة » ، ولكن المهم ماذا تعنى الكلمات الأخرى ، إنها غير مفهومة ! ! .

قال عمران : هذا هو بيت القصيد . . تلاحظان أولاً أن الكلمات مكتوبة بالقلم الرصاص ، وثانياً أن كاتبها حاول مسحها ، ولكنه لسبب خارج عن إرادته لم يتمكّن من مسحها كلها ، فبقيت ظاهرة منها جملة (انظر إلى) ، ولا يمكننا الآن أن نعرف لماذا هو اضطر إلى ذلك ، ولكن ربما لأن شخصاً ما فاجأه فى أثناء كتابتها . .

وهنا قاطعته عالية قائلة : هذا جائز . وعندئذ اضطر إلى إخفائها فى كتاب كان فى جيبه وهو جزيرة الكنز ، ووضع الكتاب فى أقرب مكان وبسرعة زائدة ! . فقال لها عمران : كل هذا جائز ! ولكن ألم تلاحظا الأثر الغائر الذى حفره القلم

الرصاص الجاف فى الخريطة ! ! . .

أوقد عمران المصباح ، ورفع الخريطة بين أصابعه ، ووضعها أمام النور ، فظهرت بعض الآثار الغائرة واضحة جليّة ، وظهر البعض الآخر غير واضح لا يقرأ ! ! . .

قال لهما عمران بعد أن طوى الخريطة : والآن هل يمكننا حل رموزها ؟ هذه هى مهمتكما ! فقال له عارف وهو غير مصدق : أتعنى أنه يمكننا أن ندرس الخريطة وأن نحتفظ بها ؟ . فهز عمران رأسه علامة «الإيجاب . فصاحت عالية من الفرح قائلة : سنحافظ عليها محافظتنا على أرواحنا ! ثم أضافت فى خبث : وبعيداً عن أعين مبروكة وفضولها ! !

توجّه عمران إلى الرفّ وأخرج كتاب « جزيرة الكنز » ، ووضع الخريطة فى مكانها كما كانت . . بين صفحتى ٧٥ و ٧٦ . وقال لهما : أنتما تعرفان الآن مكانها ، ولكن انتهزا دائماً فرصة غياب مبروكة لدراستها !

ظل عارف وعالية يختلسان النظرات مع بعضهما ، إلى أن قالت عالية لجدها : ونحن أيضاً لدينا بعض الألغاز والأسرار لا نريد أن نحتفظ بها وحدنا ! ! فقال لهما عمران : صحيح ! هاتِ ما عندك ! . .

بدأت عالية فى روايتها فقالت : نحن نشعر بأنه يوجد شخص غريب فى المنزل ! . فاندهش عمران من ذلك الخبر المفاجئ وسألها : شخص غريب ! ومن يكون ؟ وما هو الدليل على وجوده ؟ . فاستطردت عالية قائلة : لقد اكتشفنا عقب سيجارة فى المنزل ! .

أخذ عمران يفكّر بصوت عالٍ وهو يحدث نفسه : هذا غريب ! فلا أحد يدخّن هنا ! . ثم وجّه حديثه إليهما قائلا : ولكن هذا ليس بدليل على وجود شخص غريب بالمنزل فى هذه اللحظة ! ثم صمت قليلا وقال : ربما كان يوجد شخص منذ أيام مضت ! الآن فقط فهمت ! لا غرابة فى أن مبروكة كانت ترحّب بسفرى إلى القاهرة ، كما أزعجها قدومى المفاجئ ! ربما هى قد أدخلت زائراً غريباً فى أثناء غيابى ! وهى تعلم أنى أعارض فى ذلك ! . . هل هذا هو كل ما عندكما من أسرار ؟ فقال عارف : تقول عالية أنها تسمع أصواتاً غريبة فى سقف الحجرة ، وفى كل مكان بالمنزل ؟

فضحك عمران طويلاً وقال لهما : وأنا أيضاً أسمع هذه الأصوات ! فالمنزل قديم متهالك . ثم صمت قليلاً وظهرت

على وجهه إمارات الحزن والأسى ، وقال وهو يتنهد : المنزل العجوز .. كالرجل العجوز ! كلّه شروخ .. وتأوهات ! ! .

ثم سألته عالية فجأة : هل هناك حيوانات بالمنزل يا جدّو ؟ فأجابها : القط مرجان فقط ! والببغاء زاهية ! . فقالت له : أقصد فى الحظيرة ! . فأجابها : لا ، فالحظيرة مهجورة منذ زمن طويل .. ولمَ تسألين ؟ فقالت له : رأيت فى الصباح – وكنت أطلّ من نافذتى – سمارة وهو يدخل الحظيرة ، ثم يخرج منها بعد فترة ، ولما سألته ارتبك وقال بعد تردّد : لا لاتوجد حيوانات ! .. فأجابها عمران وهو يهز أكتافه بلا اكتراث : لا أعتقد أن سمارة كذّاب ! وعلى كل حال إذا كانت هناك حيوانات بالمنزل فيسهل علينا العثور عليها .. هل هذه هى كل الأسرار ! ..

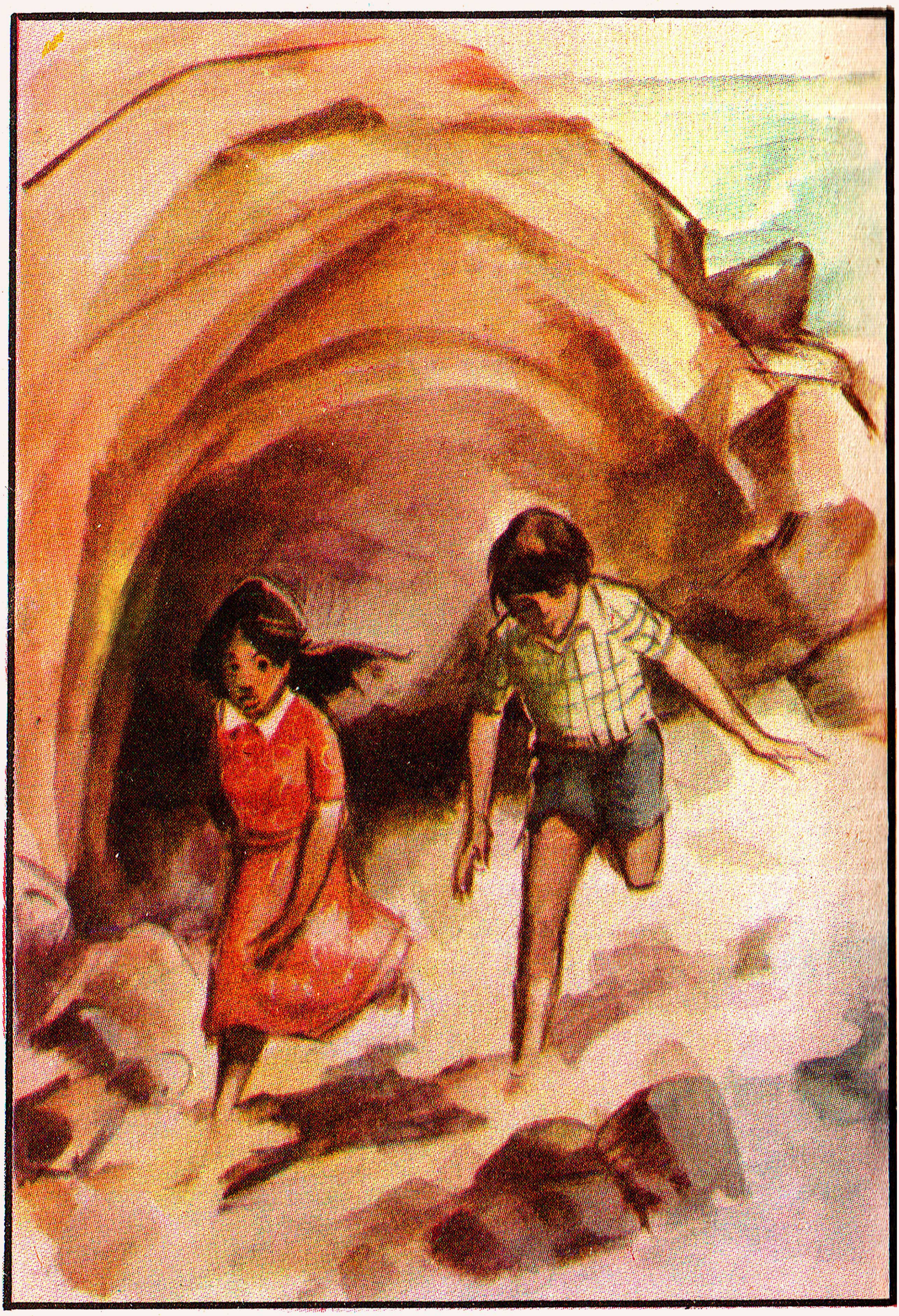
صمتا ولم يجيبا . هل يخبران جدّهما بقصة الكهف ؟ ربما اعتقد أن فى قصتهما مبالغة كبيرة ! ولكن سوف يؤيد كلامهما أن الكهف موجود ، والبطانية والوسادة والفنجان المكسور لا تزال فى مكانها . . . وكذلك عقب السيجارة المذهّب ! ! إن لم يصدقهما فما عليه إلاّ زيارة الكهف !

خيّل إليهما أن عمران لم يهتم بهذا الكشف عندما فاتحاه به ، فقد قال لهما : وما الغرابة فى ذلك ! أنا نفسى كنت أنام فى هذه الكهوف فى شبابى ، لكى أصحو مبكّراً فى الفجر لصيد السمك ! والكثيرون هنا ، وخاصة الصيادين ، يبيتون فى هذه الكهوف ! . .

تدخّلت عالية فى الحديث وقالت : ولكن هذا الكهف يختلف عن باقى الكهوف ، لأن له علاقة مباشرة بسرنا ! فقد عثرنا فيه على عقب سيجارة مذهّب ! ! فأجابها عمران بلا مبالاة : كثير من الناس يدخنون مثل هذه السجائر ! ولكن هل صادفكما أحد داخل الكهف ؟. فأجابته عالية بسرعة : لا . لأننا لم نكتشف باقى الكهف . ولم نتعمق فى داخله ، وخرجنا بسرعة فقد كنا خائفين ، وخصوصاً أنا عندما رأيت وطواطاً كبيراً يلتصق بالسقف . ولكنى لم أخبر به عارف لكى لا يخاف مثلى ! ! . .

قال عمران : على كل حال سنضع فى حسابنا مسألة الكهف ، وعُقب السيجارة المذهّب ، وإن كنت أشك فى أنهما سيساعدانا فى الكشف عن اللغز ! هل هناك شىء آخر ؟ . .

قالت عالية : نعم هناك أشياء صغيرة ! مثلاً : تصرفات



خرجا من الكهف مهرولين ، وهما يشعران بالخوف والرهبة ، وكأن عيوناً كثيرة تتبعهما .

[illegible]

مبروكة الغريبة ، وهل هى كانت دائماً كذلك ؟ . . وسمارة ! نحن نعتقد أنه يحاول مساعدتنا ولكنه يتفادانا . . ربما خوفاً من مبروكة ! ! . .

فأجابها عمران : تصرّفات مبروكة كانت دائماً شاذة من يوم أن التحقت بخدمتى ، ولكنى تعودت عليها ! أما سمارة فهو ولد يتيم ، ومخلص ، وأمين .

وعندما انتهى بهم الحديث عند هذا الحدّ ، وقف عمران وقال لهما إنه فى حاجة إلى الراحة . وإنه يحسن بهما تأجيل فكّ رموز الخريطة والكلمات الناقصة الممسوحة بها ، لأن مبروكة أوشكت أن تصل بالجرائد فى أية لحظة . وأن يخرجا للنزهة والتريض ، فالجو جميل يغرى على ذلك .

ثم حذّرهما من صخور الشاطئ قائلا : تفاديا الصخور ، وخصوصاً صخرة عمران . . فهى خطرة ! . .

* * *

غادر عارف وعالية المنزل بنية الذهاب إلى البحر . ولكن قبل أن يجتازا سور المنزل ، اقترحت عليه عالية مشاهدة الحظيرة المهجورة !


عارف

كان عارف يحلم بالسباحة فى البحر لا بالحظيرة ! . . وبالأصداف والقواقع الملوّنة الجميلة التى سيلتقطها من الشاطئ . ولكنه لم يشأ أن يخالف أخته ، فوافق على اقتراحها وهو يتأفّف .

قالت له عالية : والآن سنتأكد إذا كان هنـاك حيوان أولا ! . .

اقتربا من الحظيرة ، وكانت عبارة عند مبنى قديم متداع . وما كادا يصلان بابها حتى سمعا مأمأة رفيعة ، وصوت سمارة وهو يتحدث بصوت خافت ، وكأنه يحدث إنساناً : اسكتى

ياظريفة لئلاّ تسمعك العفريتة ! !

وقفا ساكنين بلا حراك من المباغتة وأخيراً ! ! لقد عثرت عالية على ضالتها المنشودة : الحيوان الذى كانت تعتقد بوجوده فى المنزل !

قال عارف : وماذا تظنّين ؟ أهو عجل ! . فأجابته : لا أظنه عجلاً ! فالعجل لا يمأمئ ! ربما كانت معزة أو خروفاً مريضاً ، لأن المأمأة ضعيفة !

ثم جاءهم صوت سمارة ثانية وهو يقول : اعملى معروف يا ظريفة ! اسكتى واشربى اللبن ! وإلاّ سأشربه أنا . . كده عال ! ! . .

كانت عالية تتحرّق إلى رؤية ظريفة هذه . ولكن ربما كان سمارة لا يرحّب بذلك ، ويريد أن يحتفظ بسرّه لنفسه ! لا بأس . . فلندع ذلك إلى فرصة أخرى .

واصل سمارة حديثه مع ظريفة فقال : والآن سأطلعك يا ظريفة على سرّ ، وإياك أن تفشيه لأحد ! . .

كان الإغراء شديداً يلحّ عليهما فى الاستماع إلى هذا السرّ ، إذ ربما كان يتعلق باللغز . . أو بمبروكة ! ولكن كان بين عارف وعالية « ميثاق شرف » . . وهو ألاّ يتصنّتا

على أسرار الغير !

ولذلك صمّما على الانصراف ، وتركا سمارة يبوح بسرّه إلى ظريفة !

ابتعدا عن الحظيرة وهما يتعجبان لأمر سمارة وصديقته ظريفة . .

سأل عارف أخته : من يقصد سمارة بالعفـريتة يا ترى ؟ . .

فأجابته : أظنه يقصد مبروكة ! والآن فلنرجع إلى المنزل لدراسة الخريطة . .

وبينما هما فى طريقهما إلى المنزل يتحدثان وهما يتهاديان ، إذا برجل غريب يقبل نحوهما !

كان الرجل يبدو قويًّا ، له شارب مفتول ، وفوق حاجبه جرح كبير غائر !

حيّاهما بصوت أجشّ وقال : من أنتما . . ومن أين تأتيان ؟

تبادلا النظرات فى دهشة بالغة ! يا له من رجل سخيف !

قال له عارف : نحن اللذان نسألك من أنت ؟ ومن أين أتيت ؟ فأجابه الرجل بخشونة : اسمى سلطان وأنا غريب

جئت من طنطا . ومن هو صاحب هذا المنزل ؟ . فأجابه عارف : عمران . . نايف عمران ، وهو جدّنا . فقال سلطان : حضرت خصيصاً لمقابلة جدّكما !

كانا ينظران إليه بعين الشكّ ، فهما لم يشعرا نحوه بالاطمئنان . فقد كانت القسوة تلوح فى عينيه الضيّقتين . فقالت له عالية فى تحدٍّ : لا يمكنك أن تقابل جدّنا اليوم فهو مريض . وقال له عارف : وماذا تريد منه ؟ . فأجابه سلطان : إنى أقصده فى عمل مهمّ ! أريد شراء هذا المنزل . . هل أنتما ذاهبان الآن إلى هناك .

وقبل أن ينطق عارف قالت له عالية : لا . بل سنذهب إلى الصخرة ! . فاندهش عارف من قولها هذا . فما الذى جعلها تعدل عن رأيها ؟ لقد كانت تريد من لحظة أن ترجع إلى المنزل لتفحص الخريطة !

نظر إليهما سلطان نظرة غريبة وقال : الصخرة ! ! آه . . ولم لا ؟ فاليوم جميل . . ولكن حاذرا أن . . .

قال هذا وصمت طويلاً ، ثم تابع حديثه وقال : أتمنى لكما يوماً سعيداً ، وأرجو أن أراكما قريباً .

استدار سلطان واتجه نحو المنزل ، وكانا يرقبانه مراقبة

دقيقة إلى أن اختفى . وعندئذ نظر عارف إلى أخته وقال لها : لماذا عدلت عن رأيك ؟ فأجابته : كنت أظنك تريد أن تزور الصخرة ! ! .

رمقها عارف بنظرة عتاب وقال : بالعكس كان يهمنا أن نرافقه إلى المنزل لنرى ماذا سيفعل ! . فابتسمت عالية فى دهاء وقالت . إنى أشكّ فى هذا الرجل ، ويجدر بنا أن نبتعد عنه ، وأنا متأكدة أن جدّو لن يقابله ، وأعتقد أننا سنضيفه إلى قائمة بحثنا ! فأجابها عارف : ألا يكفينا ما جمعناه من ألغاز حتى نضيف إليها لغزاً جديداً !

كانت عالية تفكّر وهى فى طريقها إلى الصخرة فيما قاله سلطان . لقد قال عندما سمع منها عن الصخرة : الصخرة ! ! ولكن حاذرا أن . . . ، ثم توقّف عن الكلام ! فإذا كان هذا الرجل غريباً حقًّا عن هذه المنطقة ، فكيف علم بما يدور حول الصخرة ؟ ؟ . . وماذا كان يريد أن يحذّرهما منه ؟ ؟ إنها تشكّ كثيراً فى أنه ليس غريباً ، بل هو يعرف الكثير من الأسرار والمعلومات عن هذا المكان ! ولماذا يريد مثل هذا الشخص أن يبتاع منزلاً قديماً كالقلعة ، وفى هذه الناحية الصحراوية بالذات . . وهو الغريب من طنطا ! ! !

وأخيراً أبدت عالية رأيها بصراحة وقالت لعارف ! أظن أن سلطاناً كان يريد أن يقول : احذرا أن تتسلقا الصخرة ! فكيف عرف أو سمع بالخرافات التى تدور حولها ؟

كان الطريق إلى الصخرة جميلا ، يصعد ويهبط ويتعرّج ، تنبت الحشائش الخضراء على جانبيه ، وبعض النخيل العالى وهو يحمل سباطات البلح الأصفر ، وبعض الإبل وهى ترعى الكلأ .

وصلا إلى أعلى مكان من صخرة عمران ، ووقفا قرب حافّتها يطلان على البحر ، والشاطئ الصخرى من تحتهما تضرب فيه الأمواج .

وقفا مشدوهين أمام المنظر الرائع الخلاّب ، إلى أن شرعت عالية فى العدّ : واحد .. اثنين .. ثلاثة .. أربعة ...

فسألها عارف قبل أن تتم عدّها : ماذا تعدّين يا عالية ؟ فصاحت عالية : انظر ! انظر ! ! إنها تطير فوق رؤوسنا ! ..

رفع عارف نظره إلى السماء ، فرأى الغربان السوداء وهى تحوم فوقهما !

إنهما ما زالا يتذكّران خرافة الصخرة ! الغربان السود الثمانية ! على كل حال ما هى إلاّ خرافة ! صحيح أن والدهما كان يتضايق إذا مرّ تحت سلم خشبي ! أو يتشاءم إذا سكب ملحاً على المائدة ، فكان يقذف قليلاً منه وراء ظهره ! . . . ولكنها خرافات هما لا يصدقانها ، ولا يؤمنان بها ! . .

قال عارف : ولكنّى لا أرى إلاّ سبعة غربان فقط ! . فأجابته : بل أنا متأكدة أنى عددت ثمانية . فقال لها : وأين الثامن ؟ ! . .

وعلى حين فجأة ظهر الغراب الثامن وقد انفصل عن السرب ، وطار فى سرعة رهيبة كالطائرة النفاثة ، وهو يكاد يمسّ رأسيهما ، وكأنه يريد أن يحذرهما من شيء مجهول !

كانا يشعران بالرهبة عندما سمعا صوتاً يصيح عليهما . من بعيد : ابتعدا ! . . لا تقتربا ! . .

وكان مصدر الصوت صيّاداً عجوزاً أبيض الشعر ، يحمل شبكته على كتفيه . اقترب منهما وقال لهما محذّراً : ألا تريا الغربان ؟ إنهم ثمانية ! فقال له عارف ، وكأنه يتجاهل ما سمعه عن الخرافة : وما أهمية ذلك ؟ . فردّ عليه الصيّاد العجوز قائلاً : إذا كنت تعيش هنا كنت لا تسأل

مثل هذا السؤال ! فقالت له عالية : ولكن أحد الغربان انفصل عن إخوته ، وطار فوق رؤوسنا يكاد يمسّها ! !

فظهرت علامات الارتياح على وجه الصياد العجوز ، وقال لهما : أنتما محظوظان ! . لقد أراد هذا الغراب أن يحذركما ، وهذا يحدث نادراً ، فالآن فقط لن يصيبكما أذى ، أو يلحق بكما ضرر !

تبادل عارف وعالية النظرات فيما بينهما . ألا يمكن أن يستشفا من هذا الصياد العجوز ما كان يخفيه جدّهما عنهما بخصوص صخرة عمران ؟ ؟

وجهت عالية حديثها إلى الصياد العجوز وهى تستدرجه : لا أظنك تصدّق هذه الخرافات . فأجابها : إنها حقيقة وليست خرافة . . وأنا أصدقّها ! وقال له عارف : ونحن أيضاً يمكن أن نصدّقها ، لو قصصت علينا حدثاً وقع ، بعد أن طارت الغربان الثمانية فوق الصخرة !

تردّد الصياد العجوز فى الكلام ، ثم قال : كاد رجلان يغرقان هنا ، وفَقَد ابن عمى ثلاثة جمال ، وأنا كذلك كنت أصيد هنا ، فوقعت فى شبكتى سمكة ضخمة ، ظننتها حوتاً ، كادت تجرّنى معها إلى عرض البحر ، فكدت أجنّ بها من

الفرح ، ولكنها قطعت الشبكة وفلتت منى . كل ذلك بعد أن طارت فوق رؤوسنا ثمانية غربان سوداء . ومنذ ستة شهور تقريباً عندما . . . .

وهنا توقّف الصياد العجوز عن الكلام ، وخفض من صوته وهمس قائلا : عندما وقع شخص من فوق الصخرة ، وفَقَد حياته ! ! ولو أن الإشاعات تروج بأنه لم يسقط قضاء وقدراً ! بل دفعه شخص من فوق الصخرة ! !

فقاطعه عارف : ومن هو هذا الشخص ؟ أهو غريب ؟ فأجابه الصيّاد العجوز : لا . . . إنه ليس غريباً . . هو أخو عمران ! ! ! . .

أخو جدّو ! . هذا مستحيل ! فهذه أول مرة يسمعان فيها أن عمّهما لقى حتفه من فوق صخرة !

قالت عالية لأخيها وهى لا تكاد تصدق الخبر : ولماذا لم يخبرنا جدّو أو يعلن أن عمّنا مات من فوق الصخرة ؟ ؟ . .

وعندما سمع الصيّاد العجوز هذا الكلام ، ظهرت عليه علامات الخوف وقال لهما : هل عمران جدّكما ؟ . فأجابه عارف : نعم . . ولكن لماذا دفعه هذا الرجل من فوق الصخرة ؟ ومن هو الفاعل ؟ . فتلجلج الصياد وأجاب : أنا لم أقل

شيئاً . . أنا لا أعرف ! . . اسأل جدّك ! ! . .

هاك سرّ جديد سيضاف إلى القائمة الطويلة ، سوف يكتبان عنه إلى أخيهما عامر ، بالإضافة إلى المعزة ظريفة — أو هى عجل أو خروف ؟ — والرجل الغريب سلطان !

قالت عالية : إنى أفكّر الآن فى ماذا حدث عندما دخل سلطان المنزل . وهل قابل جدّو ؟ فأجابها عارف : سنعرف ذلك بعد قليل ، لقد أخطأنا ، إذ كان يجب علينا أن نراقب سلطان عن قرب !

وقبل أن يصلا إلى المنزل ، رأيا مبروكة عن بعد ، وكانت تقف قرب الباب الخارجى . فقالت عالية لأخيها وهى تضحك : ها هى العفريتة فى انتظارنا ! لابدّ أنها قلقت علينا ، واشتاقت إلى رؤيانا ، فقال لها عارف : يجب أن نسألها أولاً عن سلطان ! فردّت عليه عالية قائلة : والأهم من ذلك أن نسأل جدّو عن عمّنا الذى فقد حياته من فوق الصخرة ! ! وعن الرجل الذى دفعه ! .

قابلتهما مبروكة — على غير العادة — ببشاشة ، ودخلا المنزل وكانت الساعة الأثرية ذات البندول الطويل تدقّ الواحدة ، وصوّتها يغطّى على صوت مواء مرجان الذى كان

فى استقبالهما .

أخبرتهما مبروكة أن جدّهما كلّفها بأن يعتذر لهما عن تناول الغداء معهما ، لأنه سيلزم حجرته ، بعد أن اشتدت عليه آلام الروماتيزم ! ! . .

سألتها عالية بغتة : وهل قابل جدّو سلطان ؟ ؟

ظهرت الدهشة على وجه مبروكة وترددت قليلاً فى الإجابة . ثم قالت : سلطان ! سلطان ! من هو سلطان ! ! .

فقال لها عارف : سلطان الذى وصل من طنطا ، وكان يريد مقابلة جدّنا لشراء المنزل ! . فأجابته مبروكة وهى تتصنّع الدهشة : شراء هـذا المنزل ! هذه نكتة ! لا . . لم أر أحـداً ! . .

يا لها من خبيثة ! . . يا لها من كاذبة ! . . لقد شاهدا سلطاناً وهـو يتجه نحو المنزل ويقـرع الباب . فلماذا هى تنكر ذلك ؟ لاشك أنهـا تريد أن تخفى شيئاً . . شيئاً خطيراً ! !

وهذا سرّ جديد سوف يضاف إلى القائمة الطويلة !

* * *

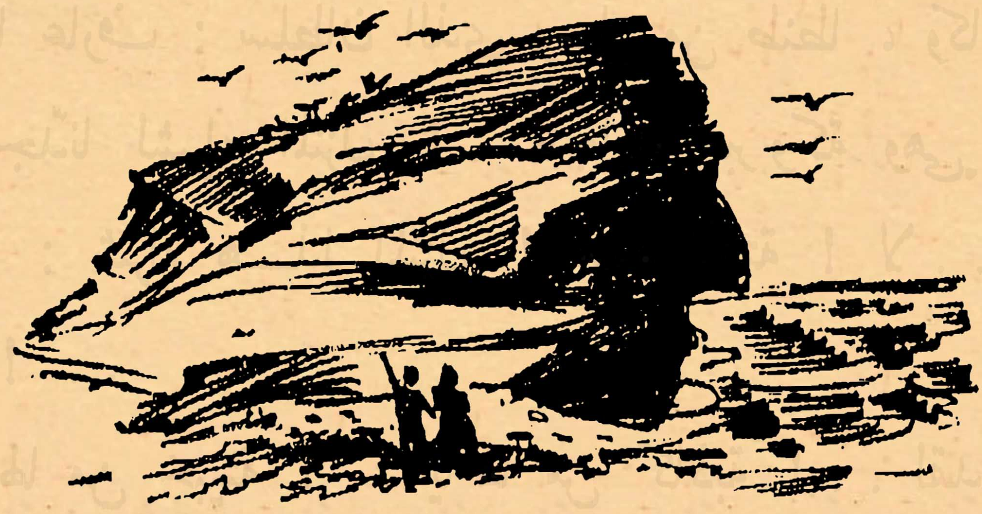
لم يبق أمامهما بعد أن تناولا الغداء غير دخول المكتبة .

فدخلاها وأغلقا الباب خلفهما ، وقصد عارف رأساً إلى الرفّ المعهود ، ومدّ يده ليتناول كتاب « جزيرة الكنز » .

ولكن ما لبث أن صدرت عنه صيحة مكتومة !

لقد اختفى الكتاب ! ! ..

* * *



بدء المعركة


سلطان

كان اختفاء الكتاب صدمة شديدة لهما ، فهما يتذكران جيّداً أنه كان موضوعاً بين هـذين المجلدين الضخمين .

ولكن أين اختفى الكتاب؟

لابدّ أن يدًا أخذته ! هل أخـذه جدّهما ؟ إنهمـا لا يعتقدان ذلك ! ألم يطلب منهما أن يفكّا لغز الخريطة العجيبة ؟ وأن يدخلا المكتبة فى أى وقت شاءا ؟ بعيداً عن أعين مبروكة !

هل أخذته مبروكة ؟ إذا كان هذا الفرض صحيحاً ، فهى تعلم إذن بوجود الخريطة ! ولكن . . لماذا لم تأخذ الخريطة من قبل ؟ إن لها ستة أشهر فى هذا المنزل !

وإذا كان حصل عليها شخص آخر . . فمن هو يا ترى ؟

وعلى حين غرّة صاحت عالية : ها هو الكتاب !

إلى أراه ! ! !

فقد لمحت الكتاب بنظرها الحادّ ودقة ملاحظتها ، وكان موضوعاً على أعلى رفٍ بالمكتبة ، فى غير موضعه الأول بين المجلّدين الضخمين ! !

قفز عارف على كرسى وهو يكاد يطير من الفرح وأخرج الكتاب . ثم أخذ يقلّب صفحاته حتى وصل إلى صفحة ٧٥ .

ولكنه لم يجد شيئاً ! ! . . لقد اختفت الخريطة ! ! . .

وفى هذه اللحظة ، سمعا وقع أقدام أدركا أنها لمبروكة ، وتأكّدا من ذلك عندما رأيا مرجان – وكان معهما فى المكتبة يداعب الببغاء زاهية – وهو يكشّر عن أنيابه ، ويرفع ذيله وظهره إلى أعلىٰ ويموء ، فقد شعر بغريزته أنها أقدام مبروكة ! حتى مرجان لا يحبها !

أسرع عارف ووضع الكتاب فى موضعه ، وسار إلى حيث تقف عالية ، ووقفا يتظاهران بالبراءة ، وهما يتطلعان إلى رؤوس الغزلان المحنطة !

دخلت عليهما مبروكة وإمارات الشر تتطاير من عينيها ، وقالت لهما فى غضب : ماذا تفعلان هنا ؟ ! . فأجابتها



وكان مصدر الصوت صياداً عجوزاً يحمل شبكته على كتفيه . قال لهما محذراً : ألا تريا الغربان ؟

عالية : نحن نتفرّج على رؤوس الغزلان ، هل اصطادها جدّو كلّها ؟

فقالت لها مبروكة بوقاحة : حجرة المكتبة ليست مكانكما ! إصعدا إلى غرفتيكما فى الحال ! وسأبعث لكما العشاء الساعة السابعة .

اندهشا من هذه اللهجة العدائية المفاجئة ، ومن تماديها فى هذه المعاملة الجافة . فبأى حق تصدر لهما مبروكة هذه الأوامر ؟؟ . .

ثار عارف عليها وصاح فيها : جدّو أذن لنا باستعمال المكتبة ! ونحن نريد أن نزوره الآن لنطمئن عليه . فردت مبروكة عليه ببرود : جدّكما مريض ، وقال لى أنه يرغب فى أن يبقى وحيداً ، وأنا أباشر شئون المنزل فى أثناء مرضه ! . .

إنها ماكرة وخبيثة ! إذا كان جدّو مريضاً جداً ، فلماذا لا ترسل فى إحضار الطبيب ؟

قالت لها عالية : وهل سنترك جدّو يرقد وحيداً فى غرفته وهو مريض ؟ ألا يوجد طبيب هنا ؟ . . فأجابتها مبروكة : أقرب دكتور فى مطروح ! فقال لها عارف متطوعاً : إنى مستعد للذهاب بنفسى إلى مرسى مطروح ! . . ولكنها قالت له :

لا حاجة له بالطبيب ، فسوف تزول عنه آلام الروماتيزم بعد قليل ، وأنا أعرف علاجه ! .

لم يجدا فائدة من المطاولة معها ، واستسلما أمام الأمر الواقع ! إذن لقد ابتدأت المعركة الحقيقية مع مبروكة ! حسناً . إذا كان هذا هو هدفها ، فهما مستعدان لخوض المعركة معها ! ولابدّ لهما من الانتصار فيها !

آه لو كان أخوهما عامر معهما الآن ! كان ولا شك سيقود المعركة ، ويشد من أزرهما . . ويتغلبون على هذه الداهية فى النهاية !

صعدا السلم الضيّق المظلم ، يتقدمهما مرجان ومبروكة ، التى كانت تصحبهما لتتأكد من دخولهما غرفتيهما ، ولتأمن عدم محاولتهما البحث أو الاتصال بجدّهما !

دخلت عالية عند أخيها عن طريق الغرفة الصغيرة المسروقة كالعادة . فقال لها عارف : لقد حرصت على مراقبة مبروكة ونحن نصعد السلّم ، وكانت تنظر طويلاً إلى ناحية غرفة جدّو ! إن شيئاً يجرى هنا لا ندركه ! أما عالية فقالت له : أما أنا فقد اكتشفت شيئاً أهم من ذلك ، وهو عقب سيجارة مذهب فى طفّاية السجائر بالمكتبة ! . .

تعجّب عارف من قوة ملاحظة أخته ، فهو لم يلحظ ذلك ، مع أنه كان بجوارها فى المكتبة ! ولكنه يعزو رؤيتها للعقب إلى مجرد الصدفة ! ! .

قال لها : هذا هو العقب الثالث . فأجابته : نعم : الأول أمام باب غرفتك . . والثانى فى الكهف . . والثالث فى المكتبة ! . . ويبدو لى أن من دخّن هذه السجائر مهمل وغبيّ . . فوافقها عارف على رأيها وأضاف : هذا صحيح . واتضح أيضاً أن مبروكة أغبى منه ، وأنها غير حريصة ، فهى إذا كانت تخفى أحداً فلماذا تدعه يترك وراءه أثراً يفضحه أينما ذهب ! . ولكن هذا من حسن حظنا . .

أخذا يتبادلان الرأى ويبحثان عن الاحتمالات الممكنة : هل دخل سلطان المنزل ؟ وإذا افترضا أنه دخل فلماذا تنكر مبروكة ذلك ؟ وإذا ثبت أنه دخل ، فهل قابل جدّهما ! . . وإذا سمحت له مبروكة بهذه المقابلة ، فلماذا تمنعهما من رؤية جدّهما ، وتقف فى طريقهما ؟ أيكون سلطان هو صاحب أعقاب السجائر ؟ هذا جائز جدًّا . فلم يدخل المنزل أى أحد غيره ! ! . .

وإذا كان هو صاحب هذه السجائر فهذا يعنى أنه وصل

هنا منذ فترة وبات فى الكهف . . ودخل المكتبة ، تدلّ عليه أعقاب سجائره !

والأهم من ذلك أنه دخل أيضاً غرفة عارف ! ألم يترك عقباً أمام بابها ؟ فما هو السبب ، وما هو الغرض من دخوله هذه الحجرة بالذات ؟ ! !

إذا جاز كل هذا فمن المحتمل جداً أن سلطاناً ومبروكة شريكان يعلمان بوجود الخريطة ، وأنهما دخلا معاً المكتبة هذا الصباح ، وبحثا عن الخريطة حتى عثرا عليها ، ثم وضعا الكتاب فى غير موضعه الأصلى سهواً . فقد كان أمام سلطان ومبروكة من الوقت ما يكفى للبحث والتنقيب فى كل كتاب ، وهما متغيبان يشاهدان الصخرة . كما أن جدّهما مريض يلازم حجرته !

أما سمارة فربما كان متغيبا ، يناجى صديقته ظريفة !

فاقا إلى نفسيهما بعد أن وصل بهما الاستنتاج عند هذا الحدّ . أيكون جدّهما صحيحاً معافى ، وأنه محبوس الآن فى غرفته ! ! ومن الجائز أيضاً أن يكون سلطان قد ضربه ، أو أن مبروكة قد أعطته منوّماً ، حتى يخلو لهما الجو بعد أن أقفلا الباب عليه بالمفتاح !

وكل ذلك إن دلّ على شيء ، فعلى أن هذه الخريطة هامّة جداًّ !

وهذا بطبيعة الحال إذا صحّ أن سلطاناً دخل المنزل أصلاً وأنه على صلة بمبروكة !

أمسكت عالية بذراع أخيها فجأة ، وهمست فى أذنه : أتسمع صوتاً ؟ إنى أسمع وقع أقدام ! سأذهب إلى غرفتى توًّا فمن الأفضل ألاّ نشاهد فى حجرة واحدة .

وبعد قليل سمع عارف صوت طرق خفيف على بابه ، فاندهش لأنه ليست من عادة مبروكة أن تطرق الأبواب ! ولكنه لما فتح الباب وجد سمارة يقف أمامه ، وهو يحمل فى يده صينيّة عليها طعام العشاء ، فى حين وضع صينية أخته على الأرض .

دخل سمارة الغرفة وترك له الصينية على المائدة ، وخرج مسرعاً دون أن ينطلق بحرف ! ثم دخل غرفة عالية وفعل نفس الشيء !

حمل عارف صينيته بعد أن انصرف سمارة ، ودخل بها عند عالية ؛ وقال لها : حاولت أن أكلّم سماره ، ولكنه كان فى عجلة من أمره ! . فقالت له عالية : وأنا أيضاً ، ولكنه

غمز لى بعينه ، وأشار لى بأنه سيرجع ثانية . . ولابدّ أنه كان خائفاً من العفريتة !

جلس عارف يتناول طعامه ، وبينما هو يرفع صحفه ليضعه على المائدة ، إذ به يعثر تحته على ورقة صفراء ! ! . .

نظر عارف إلى أخته متسائلا : ما هذا ؟ . فقالت له : أتكون رسالة من سمارة ؟

وعندما قلب الورقة المطوية بين أصابعه وفتحها ؛ جحظت عيناه ، وعقد لسانه عن الكلام ! فقد كانت الورقة هى . . الخريطة المفقودة !' !

قفز عارف من كرسيه وقال لعالية : لا تتحركى من مكانك ! سأرجع إليك بعد قليل .

خرج عارف إلى الطرقة وهو يتلصص على أطراف أصابعه ، ثم هبط السلم فى رفق . كان المنزل هادئاً لا يسمع فى أرجائه غير صوت دقات الساعة الأثرية .

توجّه إلى المكتبة رأساً ، وما كاد يفتح بابها حتى فوجئ بصوت غريب وهو يصرخ فى وجهه : اديّنى حتّة سكّر ! ! . . ولكن الهدوء رجع إلى نفسه حينما اكتشف أنه صوت الببغاء زاهية !

توجّه إلى ركن بالمكتبة ، والتقط شيئاً موضوعاً على مكتب صغير ، دسّه فى جيبه ، ثم هرول خارجاً ، وصعد السلم باحتراس شديد ، وقصد حجرة جدّه ، ونقر على الباب بخفّة ، فلم يلق جواباً ، فقد كان السكون يخيم على الغرفة ! . .

حاول فتح الباب فوجده مقفلاً بالمفتاح ! !

وفى هذه اللحظة جاءه صوت العفريتة وهى تقول : منْ هناك ؟ . فقفز بخفة وهو يعدو ، وأخذ يقطع السلم الضيّق ، كل ثلاث درجات أو أربع فى خطوة واحدة ! وما كاد يدخل حجرته وهو يرهف السمع حتى جاءه صوت صرير المفتاح وهو يقفل بابه من الخارج !

وبعد فترة وجيزة ، دخلت عالية حجرته ، وقالت له : العفريتة قفلت بابى بالمفتاح ! ! .

فأجابها عارف : وبابى أيضاً . فنحن الآن سجينان ، ولولا الغرفة المسروقة لانقطع الاتصال بيننا تماماً ! . .

أخرج عارف من جيبه الشىء الذى أخذه من المكتبة ، وكان عدسة مكبّرة ! . وقال لعالية : الآن هيا بنا إلى العمل ! هيّا إلى فك رموز الخريطة العجيبة الناقصة . . .



عامر

أضـاء عارف المصباح ووضع الخريطة أمامه على المائدة ، وبدأ حديثه فقال : والآن . . كيف وصلت هذه الخريطة إلى يد سمارة ؟ فقالت له عالية : لو أن سمارة اكتشف الخريطة ، وكان يدرك أهميتها لما فرّط فيهـا ، واحتجزها لنفسه . ويجوز أيضاً أنه وضعها على الصينية ليخفيها عن مبروكة . . ثم نسيها !

ولكن عارف استدرك وقال : ويجوز أيضاً أن مبروكة اكتشفتها ووضعتها سهواً على الصينية ! فأجابته عالية : إذا صحّ هذا فهى ستعود حتماً لتحصل عليها ! على كل حال هذا لا يهمّنا الآن ، فالخريطة بين أيدينا ، فلنسرع فى دراستها لعلّنا نصل إلى نتيجة !

نظرت عالية إلى الخريطة وقالت : أظن أن هذا الرسم الذى يشبه الثعبان . . هو طريق يتفرّع منه ثلاثة طرق ، آخرها مكتوب فى نهايته حرف (خ) . وهذا الحرف قد يعنى (خطر) ، فيجب الحذر من هذا الطريق من باب الحيطة . وهذه السهام تشير إلى الاتجاه الذى يجب السير فيه .

فقاطعها عارف : ولكن هذا الرسم غير واضح . فأين يبدأ الطريق . . وأين ينتهى ! ! وهل هو أصلاً طريق ؟ وأين يقع هذا الطريق ؟

ولماذا لا يكون هذا الرسم نهراً ؟ ولكنهما لم يشاهدا نهراً فى هذه المنطقة ، ونهر النيل لا يصل إلى مرسى مطروح ! ولماذا لا يكون هـذا الطـريق أو النهر فى أستراليا مثلاً ! ! . .

وبعد تفكير قالت عالية : ربما هو طريق فى غابة !

فأجابها عارف لائماً : ليس فى مصر غابات ! هذه خريطة ناقصة ، والشخص الذى رسمها لم يوضّح لنا ما هو هذا المكان ، ولا أين ! . فقالت له : ولكن السطور الممسوحة قد تفسّر لنا كلّ ذلك ، لو أننا توصلنا إلى فك رموزها !

كانت عالية تصوّب نظراتها المدققة الفاحصة إلى الخريطة ، ثم قالت : ألا ترى معى أن هذا الخط المتعرّج . .

لا . . هنا ! . . هنا على يمين الخريطة إلى الشرق . . يشبه وجه إنسان ! ! . .

ضحك عارف وقال : مرّة هو ثعبان ! ومرة هو وجه إنسان ! دعينا من هذا الهذر والعبث ! ولنفحص الآن السطور الممسوحة . ومن حسن حظنا أن القلم كان جافًّا ومدببّاً ، ترك لنـــا أثراً عميقاً فى بعض الأماكن .

وضعا الخريطة أمام المصباح ، واستعانا بالعدسة المكبرة ، ولكنهما لم يتمكّنا من قراءة جميع الكلمات . وكان ما ظهر من السطور الستة هو هكذا :

انظر إلى . . . . الخشبيّة
. . . . تغطّى الأرضيّـــة
وعـــدّ حتى الثـــالثـــة
ولـــكى تتفـــادى كارثة
. . . . وانزل بحيطة
وعليـــك اتبـــاع الخريطة

هذا هو كل ما توصّلا إلى حلّه ، وهو لا يكشف لهما عن الكثير !

صمتا طويلاً إلى أن قطعت عالية حبل السكوت ،

وسألت عارف : هل فهمت شيئاً ؟؟. وبعد تفكير عميق أجابها : الكلمات تقول : علينا اتباع الخريطة .. لكى نتفادى كارثة أو مصيبة ! وهذا معناه أن نتبع السهام ، فهى تشير إلى الطريق السليم ، وعلينا أن نتفادى الطرق الجانبية فهى لا تؤدى إلى شىء ، وخاصة الطريق الثالث .. وإلا وقعت كارثة ! فواضح أن حرف (خ) إنما يرمز إلى كلمة (خطر) ! وليس خندق أو خزانة كما كنّا نتصوّر .

قالت عالية : ولكن الكلمات لا توضّح ما هى هذه الكارثة ! كما لا توضّح السهام إلى أين تقودنا !.. لو كان عامر معنا الآن لما احترنا هذه الحيرة يجب أن نرسل له الخطاب باكراً ، وأن نستحثه على سرعة المجىء

وفجأة أمسكت عالية بذراع أخيها وهمست له : صه ! إنى أسمع صوتاً فى الخارج !

سمعا وقع أقدام ، وسمارة وهو يقول بصوت خافت : افتح أنا سمارة ..

وفى لحظة خاطفة ، حدث أمر غير متوقّع ! إذ سمعا دبيب أقدام ثقيلة ، أعقبه صوت جسم يتدحرج على السلم ،

وسمارة يصرخ ويستغيث ! !

أدركا أن رجلا اقتفى أثر سمارة وجرّه إلى السلم ، ثم قذف به من علٍ فهوى حتى الدور الأول ! ! . .

من يكون هذا الرجل غير سلطان ! ! فلا أحد غيره دخل المنزل هذا اليوم . . إنه هوماً فى ذلك من شك !

كان بودّهما أن يهرعا لنجدة سمارة ، ولكن ما العمل وبابهما مغلق عليهما من الخارج .

أطفأ عاطف المصباح فساد الظلام أرجاء الغرفة ، ثم سار هو وعالية نحو النافذة وأطلاّ منها بحذر يستطلعان الخارج ، فشاهدا شبح سمارة فى الظلام وكان يعرج وهو يعدو فى الحوش ، إلى أن دخل الحظيرة وأغلق بابها وراءه ! .

وبعد برهة وجيزة شاهدا مبروكة وقد خرجت من المنزل مسرعة ، وهى تبحث عنه على ضوء بطارية صغيرة ولما لم تعثر عليه دخلت المنزل ثانية وهى تتهدد وتتوعد .

وقبل أن يشرعا فى مغادرة النافذه ، لمحا شبحاً يسير بجوار الحائط فى الحوش . فلفت عارف نظر عالية إليه وقال لها : من تظنين هذا الشبح ؟ أهو سلطان ؟ . . ولكن بعد أن تمعنّت عالية فيه أجابته : لا ! فسلطان ضخم الجثة !

اقترب الشبح حتى وقف تحت النافذة ، ثم أخرج بطارية من جيبه ، وكان على وشك أن يقرع الباب !

ظهرت صورة الشبح واضحة جلية فى ضوء البطارية . وما إن تبيّناه حتى صدرت عنهما صيحة مدويّة كادت تفضحهما ، وصرخت عالية قائلة : لا ! . . هذا مستحيل ! ! إنه عامر ! ! . .

نادياه بصوت خافت ، فأطلّ عليهما والدهشة تعقد لسانه ، فأشار له عارف بالانتظار ، وألاّ يدخل البيت من بابه !

تعجّب عامر من هذا الغموض ! ولكنه أطاعهما وامتنع عن الدخول مستمعاً إلى نصيحة أخويه ، ثم تلفّت يمنة ويسرة ، وفحص الحائط عن قرب ، فلم يجد غير ماسورة مياه تجاور النافذة وتصل حتى الأرض !

ولما كان عامر بطلاً رياضياً فى مدرسته ، فقد تسلّق الماسورة فى سهولة ويسر ، كقرد يتسلق شجرة ، ودخل الحجرة من النافذة !

كان عارف وعالية لا يصدّقان أعينهما . أصحيح أن عامراً قد وصل ! . . الحمد لله . . أخيراً ها هو يقف



تسلق « عامر » الماسورة فى سهولة ، كقرد يتسلق شجرة ودخل الحجرة من النافذة

بينهما بلحمه ودمه ! . .

قال لهما عامر : ما الذى يحدث هنا ؟ لا تنسيا إنى لا أعلم شيئاً ! فقال له عارف : قبل أن تعرف ما يحدث هنا ، خبّرنا أولا كيف حضرت !

أخذ عامر يروى لهما قصته ، فقال أنه تسلّم هذا الصباح برقية من جدّهم يدعوه فيها إلى ضرورة الحضور على عجل إلى مرسى مطروح .

وهنا قالت عالية : آه . . الآن فقط فهمت جدّو أرسل سمارة بالبرقية . وهذا هو العمل الهام الذى قال للعفريتة إنه سيكلّفه به ، عندما أرسلها إلى مطروح لتبتاع له الجرائد ! وقد قصد من ذلك أن يقدّم لنا مفاجأة سارة .

تساءل عامر : تقولين عفريتة ! هل هناك عفاريت فى المنزل ؟ هل البيت مسكون ؟ ؟ ! . .

فضحكت عالية وقالت له : هذا اسم أطلقه سمارة على مبروكة ! . فقال لها : ومن هما سمارة ومبروكة ؟ فأجابه عارف ! ستعرف كل شيء حالا ! أولا نحن مسجونان هنا . . و . . .

وقبل أن يتم جملته وضعت عالية كفّها على فمه

لتمنعه عن الكلام !

كانت أذن عالية مرهفة الحسّ تسمع دبيب النملة فقد شعرت بصدى صوت يأتى من بعيد !

ظهرت الحيرة على وجه عامر ، وهمس فى أذن عالية : ممّ تخافان ! ولماذا لا تتكلمان ! . . فقالت له عالية بهمس لا يكاد يسمع : نحن نوهمهما أننا نائمان ! !

اعتقد عامر أن المقصود بذلك هما جدّه ومبروكة ، فهما الشخصان الوحيدان فى المنزل ، فقال لها : تقصدين طبعاً جدّو ومبروكة ، أو ربما سمارة ! . . ولكن . . .

أشارت له عالية أن يصمت ، فقد كان الصوت يقترب رويداً رويداً !

كان الصوت صوت حذاء خفيف ، أو شبشب ، يختلط معه صوت وقع حذاء ثقيل . ثم صوت يقول : لا حركة ولا حسّ يصدر عنهما ، لابدّ أنهما قد ناما ! . وكان هذا هو صوت مبروكة ! ثم أعقبه صوت رجل أجشّ ، تعرّف عليه عارف وعالية فى الحال : فقد كان صوت سلطان وهو يردّ على مبروكة : أعتقد أنهما ناما فعلاً يا والدتى ! ! ! . .

والدتى ! ! ! يا للاكتشاف الخطير ! سلطان ابن

مبروكة ! ! .

قالت له مبروكة : أمامنا الليل طويل ، ولن يزعجنا أحد ، فهما مسجونان فى حجرتيهما ، وكذلك عمران !

فأجابها سلطان : سمارة ما زال حراًّ طليقاً ، ولكن بعد العلقة الساخنة التى أعطيتها له ، لا أظنه سيظهر ويعود !

فقالت مبروكة : كنت أظن أننا يمكننا أن نثق بسمارة ! ففاتحته فى الأمر ولكنه رفض وخيّب ظنى فيه ولكنى اكتشفت صدفة أنه يحتفظ بمعزة صغيرة يعالج ساقها المكسورة ، فهددته بأنى سآخذها منه ! ! ولا أعتقد بعد هذا التهديد أنه سيشى بنا !

نظرت عالية إلى عارف وكأنها تقول له : إذن هى معزة صغيرة ضالة يعالج ساقها المكسورة .. وليست عجلاً أو خروفاً !

لاشك أن سمارة ولد عطوف حنون .. ويمكن الاعتماد عليـه !

واصلت مبروكة همسها فقالت : والآن سنتوجه إلى المكتبة ، إذا كنت تظن أنها ما زالت هناك . !

فأجابها سلطان : قلت لك مراراً إنى رأيتها بعينى ومحروس

يضعها فى كتاب .. ولا أحد يعلم عنها شيئاً غيرنا !

ثم صمت سلطان قليلاً وعاود همسه : نعم .. لم يعلم بها غيرى وغير شريكى فى التجارة محروس أخو عمران .. وكنا قد اختلفنا فى العمل ، وانفصلت عنه بعد أن أفلست وأضعت مالى وثروتى ، وكنت أعلم أن لمحروس ثروة ضخمة ، زيّن لى الشيطان أنى لو حصلت عليها لأنقذتنى من ورطتى ، وأنه كان يخفى هذه الثروة فى مكان أمين . فتتبّعته السنين الطويلة بهدف اكتشاف مكانها .. ولكن بدون جدوى .. فقد كان محروس حريصاً. إلى أن باغتّه ذات يوم فى المنزل ، فرأيته مرتبكاً وهو يحاول إخفاء كتاب على رفّ بالمكتبة بعد أن دسّ فيه ورقة صفراء ، اعتقدت تماماً أنها تحوى دليلاً على مخبأ الثروة .. أو ربما وصيته . فهجمت عليه لأنتزعها منه ولكنه تمكّن من الإفلات منى ، وفّر هارباً وهو يعدو بأقصى سرعته ، وأنا أتعقّبه كظلّه ، إلى أن وصل إلى صخرة عمران المشئومة . وهناك وقعت بيننا معركة رهيبة غير متكافئة ، دفعته بعدها بشدة فهوى من شاهق إلى الشاطئ الصخرى . ولكن كان ذلك بعد أن ترك لى هذا الجرح الغائر فى جبينى قبل أن يلقى حتفه .. كتذكار أبدىّ لهذه المعركة .

وقد خشيت أن أعود توا إلى المنزل بعد المعركة للبحث عن هذا الدليل ، لئلا يُكتشف أمرى ، وخوفاً من مطاردة الشرطة ، وأرجأت هذا البحث إلى الوقت المناسب ، وبعد أن ألحقتك يا والدتى بخدمة عمران ، حتى تسهّل لى الدخول إلى المنزل للعثــور على ضالتنــا المنشودة ، وبدون إثارة أية شبهات !

وهنا قاطعته مبروكة قائلة : ما علينا ! هذا تاريخ قديم . الآن هيا بنا إلى المكتبة ، لقد أضعنا وقتنا فى الكلام والثرثرة ، وإذا صادفنا الحظ فسوف نعثر على الكنز الثمين ! . . إنه يقدّر كما تقول بمئات الألوف ! !

ساراً فى طريقهما إلى المكتبة ، بعد أن تأكدا تماماً وتصنتا على جميع الغرف ، من أن الجميع ينام .

ولما اطمأن عامر إلى اختفائهما قال : ما هذا ! عمّنا محروس قتل ! الكنز الثمين ! مئـات الألوف ! ما معنى كل ذلك ؟ ؟

فرد عليه عارف بقوله : إننا لا نعرف بالضبط حتى الآن ، ولكننا سوف نكتشف ذلك قريباً ولكن قبل ذلك يجب أن تعرف ماذا حدث لجدو . . فهو محبوس فى غرفته لا صوت ولا حسّ له ، وربما يكون قد أصابه بعض الأذى على أيديهم !

ثم نظر إلى أخيه عامر وقال له : والآن سنطلعك على الخريطة العجيبة التى سلمها لنا جدّو ، وسبق الشرير سلطان فى اكتشافها ، وحرمه منها .

فوجئ عامر بهذا النبأ ، فهو لم يكن يتصور قبل وصوله ، أن اللغز الصغير سوف يصل إلى حدّ وجود خرائط ! . .

فقال : خريطة ! ! هل هناك خرائط أيضاً ؟ !

فأخرج عارف الخريطة من جيبه وقال : نعم . . ها هى الخريطة . . ولكنها للأسف مبهمة ناقصة .

أخذ عامر يتفحص الخريطة باعتناء وهو مستغرق فى تفكير عميق ، وعارف وعالية يجلسان أمامه لا ينبسان بحرف ، لئلا يقطعان عليه حبل تفكيره .

وأخيراً خرج عامر عن صمته وقال : لاشك فى أن هذه الخريطة هى النسخة الأصلية التى رسمها عمّنا محروس

فأجابته عالية بأنهما تأكدا من ذلك ، بعد أن قارنا بين الكتابات المدونة فيها ، وبين بعض الملاحظات التى دوّنها محروس فى كتاب « جزيرة الكنز » ، فوجداها متطابقة .

قال عامر بهدوء وكأنه يقرّر أمراً واقعاً : إنى توصّلت الآن إلى أشياء كثيرة ، فالمسألة ليست بالصعوبة التى تبدو عليها ، خاصة بعد سماعنا للمحادثة الهامسة التى جرت بين الشرير سلطان وأمه العفريتة ، وإنى أشك فى أن سلطاناً هو اسم انتحله لكما ، فهو ليس باسمه الحقيقى .

استطرد عامر فى الحديث وقال : اتضح لنا أن عمّنا كان يملك ثروة ضخمة ، لا نعرف طبيعتها بالضبط ، ولكنها قد تكون جواهر أو ذهب مثلاً ، وأنه أخفاها فى مكان أمين بعيداً عن أيدى الطامعين فيها ، ثم رسم للمكان هذه الخريطة العجيبة ، لئلا تختفى معالمها إذا ما حدث له مكروه . وعرفنا أن مبروكة كان تسهّل لابنها مهمة مراقبة عمّنا عن قرب ، والدخول إلى المكتبة كلما سنحت لهما الفرصة المواتية .

ثم صمت قليلاً وقال : ولكن ما يحيّرنى هو . . أين المكان الذى كان يأوى إليه سلطان ويتخذ منه مقرّاً « لقيادته » ؟ لابدّ أن يكون مكاناً سريًّا أميناً ، وأن يكون بعيداً عن أعين الشرطة ورقابتها ، وأن يكون قريباً من دار عمران فى الوقت نفسه ! !

وهنـا صاحت عالية : الكهف ! ! كان يعيش

فى الكهف ! !

فقال لها عامر وهو مذهول : كهف ! وهل هناك كهوف أيضاً ؟ ؟ . . فأجابته عالية بأنه سيعرف كل شىء فيما بعد ، فليكمل حديثه أولاً .

استرسل عامر فى تصوره لما حدث وقال : وفى يوم من الأيام . . كان عمو محروس يجلس فى المكتبة وحيداً يرسم الخريطة ، وينظم عليها هذه الكلمات التى تشبه الزجل ، والتى توضّح مكان الكنز ، وهذا هو المفروض من نظمها ، ولكنه حاول أن يمسح هذه الكلمات لأنها لم تعجبه ، ربما لركاكتها ، أو لأنها مبهمة عسيرة الفهم .

ثم صمت قليلاً وقال : وإنى أتصور أنه شعر فى هذه اللحظة بوقع أقدام تقترب من الباب ، فلم يتمكن من مسح جميع الكلمات . . ثم وضع الخريطة فى كتاب كان فى جنبه مصادفة ، وهرول إلى المكتبة ودسّه ، كما اتفق ، فى أول مكان صادفه .

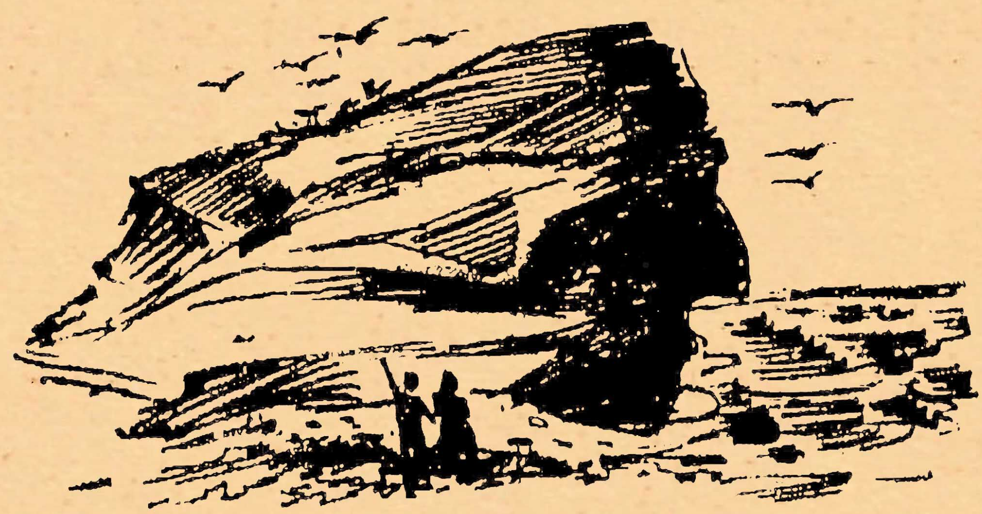
وهنا تدخّل عارف وقال : ولكن سلطاناً لم يمهله ، إذ كان قد فتح الباب فى هذه اللحظة ورآه وهو يفعل ذلك . فأجابه عامر مؤمناً على كلامه : تماماً . . هذا هو ما حدث . .

والباقى معروف سمعناه . مفصّلاً من سلطان .

كان عارف وعالية يرمقانه بفخر وإعجاب ! إن المسألة تبدو الآن بسيطة واضحة . . فلماذا لم يصلا هما إلى ما وصل هو إليه ؟ حقًّا إن عامراً شعلة متوقدة من الذكاء والنباهة وبراعة الاستنتاج .

صمت عامر طويلا وهو يقدح زناد فكره ، إلى أن قال : ولكنْ هناك شىء واحد يستعصى على إدراكى ! . . وهو كيف وصلتكما هذه الخريطة !

فنطق عارف وعالية فى صوت واحد : وهذا هو ما يحيّرنا أيضاً ! !





كان الثلاثة منهمكين فى دراسة الخريطة ، عندما قال عارف إن الخط المتعرّج فى أقصى اليمين يشبه نهراً . . ربما كان نهر النيل !

تأمل عامر فى هذا الخطّ المتعرج وقال : ولماذا نذهب بعيداً ونحن أقرب إلى الشاطئ . . فنحن نجاور البحر

قفزت عالية وهى تصيح : نعم . . نعم . . وهذا هو الأنف ! إنى أراه واضحاً جداً .

فاندهش عامر وسألها : أنف ! ماذا تقصدين بالأنف ؟ !

فأجابه عارف نيابة عن أخته : تظنّ عالية أن الشاطئ هنا يشبه فى تعاريجه وجه إنسان ! ثم ضحك وقال : ووجه مبروكة بالذات ! هذا هو أنفها ، وهذا هو فمها ، وهذه هى ذقنها ! وكان يشير بأصبعه إلى الخط المتعرج فى أقصى

يمين الخريطة .

قال عامر : من الجائز أن تكون هذه الخريطة رسماً كروكياً توضحياً لهذه المنطقة . وهذا الطريق ، وهذه السهام ، تقود إلى فمّ مبروكة كما تقول عالية !

فقالت عالية بفرح : تماماً . . أى إلى الكهف !

لم يبق أمامهم إلاّ اكتشاف هذا الطريق . أهو فوق الأرض ! أو هو درب فى الصحراء ! أو هو نفق تحت الأرض !

قال عامر : إذا كان هذا الطريق يؤدى حقاً إلى الكهف ، والكهف كما تقولون يقع فى مستوى شاطئ البحر وتحت الصخرة ، إذن فهذا الطريق لابدّ أن يخترق الصخرة ويمرّ تحتها ! يعنى لابدّ أن يكون نفقاً ! ! . .

فأجابته عالية : وأنا أيضاً أرجح ذلك . . هو فى الغالب نفق يجرى تحت الأرض ، وينتهى داخل الكهف . ولكن أين يبدأ النفق ، وأين مدخله ؟ هذا ما لم توضّحه لنا الخريطة !

فقال لهما عامر وهو يكاد يأكل الخريطة بعينيه إذا أمكننا حل رموز الكلمات الناقصة ، توصّلنا إلى

اللغز الغامض ! .

واصل عامر دراسته لهذه الكلمات بعناية ، إلى أن فاجأهما بقوله : أظن أنى توصّلت إلى حلّها ! . .

لم يصدّقاه أول الأمر ، ولكنه أخذ فى شرح ما خفى عليهما : الكلمات فى السطرين الأول والثانى تقول :

انظـــر إلى . . . . . الخشبية

التى . . . . الأرضية

فقاطعه عارف بقوله : ولكن هذا الكلام مبهم لامعنى له !

فأجابه عامر باهتمام : بل له معنى ! إذا افترضنا أن هناك أرضيّة خشبية . . فماذا يغطيها ؟ ؟

وهنا تسرّع عارف وقال : سجّادة . . أو حصيرة !

فضحكت عليه عالية وقالت له مصحّحة : بل ألواح ط . .

فقال لها عامر : هذا أصحّ . فإذا أكملنا الجملة كانت هكذا :

انظر إلى الألواح الخشبية

التى تغطّى الأرضيـــــة

قال عارف وهو يشعر بالخجل لعدم إدراكه هذه الحقيقة

الواضحة بالسرعة الكافية : هذا صحيح ، لا أدرى كيف فاتت عليّ . . الحمد لله قد تخلصنا الآن من ثلث الأبيات . . ولم يبق أمامنا إلاّ الثلثين !

استطرد عامر فى تفسيره وقال : أما السطر الثالث فهو كامل وواضح ، وهو يطلب منك عدّ الألواح حتى تصل إلى اللّوح الثالث !

فقال عارف : هذا واضح جداً الآن . . وهو بسيط !

استمر عامر فى شرحه : والسطر الرابع واضح كذلك ، وهو ينبّهك إلى أقرب وقوع كارثة ، ما لم تتبع التعليمات المدوّنة .

فقال عارف : عال . . عال . . الحمد لله قد تخلصنا الآن من ثلثى الأبيات . . ولم يبق أمامنا إلاّ الثلث الأخير !

استمر عامر فى شرحه وقال : أما السطـر الخامس فيقول :

. . . . . . وانزل بحيطة

أى انزل بحذر شديد ! فكيف تنزل ما لم يكن هناك مدخل أو كوّة أو فتحة ؟ ؟ . . وهذا يستدعى بداهة رفع الألواح ، أو على الأصح اللوح الثالث بالذات ، إذ قد

يخفى هـذا اللوح فتحة أو مـدخلاً ! وبهذا يكون السطر الخامس هكذا :

ارفع اللوح وانزل بحيطة

فقالت عالية وهى غير مصدّقة : وإذا نزلنا فسوف نجد النفق ! وعلينا اتباع ما فى الخريطة ، لئلا تصادفنا كارثة أو مصيبة . وفى النهـاية نعثر على الكنز الثمين ! هذا فى منتهى البساطة !

وأخيراً أخرج عامر قلمه وكتب ما توصّل إليه على قصاصته من الورق :

انظـر إلى الألواح الخشبية
التى تغطى الأرضيّـــة
وعـدّ حتى الثـالثة
ولكى تتفـــادى كارثة
ارفع اللوح وانزل بحيطة
وعليك اتبـــاع الخريطة

قال عارف : المهم الآن وقد توصّلنا إلى فك رموز السطور الستة أن نعثر على مدخل النفق ! ولا أدرى كيف سيكون ذلك ونحن محبوسون هنا فى هذه الزنزانة الضيقة ! ! . .

صمت عامر ولم يجب ، فقد كان يفكّر بعيداً . ثم قال فجأة : أعتقد أن عمّو قصد أن يخفى ثروته أو كنزه فى مكان أمين بعيداً عن أعين الطفيليين والأفاقين المغامرين ، ثم رسم هذه الخريطة ووضّح عليها مكان الكنز ، وبطبيعة الحال لا فائدة من هذه الخريطة ما لم يوضح عليها مكان المدخل أيضاً ! . .

فسألته عالية بلهفة : أتقصد أنك اكتشفت مكان المدخل ؟

فأجابها : ليس بعد ! ولكن بقليل من التعقل والروية يمكننا أن نصل إليه ! وإنى واثق أن هذا المدخل فى هذا المنزل بالذات !

فقاطعه عارف : ولماذا لا يكون فى موقع آخر . . فقال عامر : ذكر عمّو كلمة « الألواح الخشبية » ، والألواح تكون عادة فى الحجرات وفى البيوت ، أليس كذلك ؟ . . فإذا كان الأمر كذلك فما الداعى لأن يخفى عمّو كنزه فى مكان غريب بعيد ، ولديه هذه القلعة الواسعة الحصينة ؟

ثم سألهما عامر : هل توجد حجرات ذات ألواح خشبية فى هذا المنزل ؟ . فقال له عارف : نحن لم نر إلاّ المكتبة ،

وحجرة الطعام ، وغرفتى ، وغرفة عالية ، وأرضيّاتها جميعها مرصوفة بالبلاط المعصرانى ؛

ابتسم عامر ابتسامة ذات معنى وقال له : كان يجب عليك أن تلاحظ شيئاً هاماً ، وهو أن الحجرة الصغيرة المسروقة أرضيتها من الألواح الخشبية القديمة !

وفى لمح البصر هجم ثلاثتهم على الحجرة المسروقة ، وأخذوا فى معاينتها ، وكانت تزدحم بهم لضيقها وصغرها .

أخذت عالية تعدّ الألواح العريضة بصوت مسموع : واحد ، اثنين ، ثلاثة . . . هذا هو اللوح الثالث ! إنه عريض جداً .

قفز عامر فوق اللوح الخشبى الثالث العريض ، وأخذ يدقّ عليه بكل ثقله ، فوجد أنه غير ثابت يهتز تحت وطأة قدميه . .

حاول الثلاثة رفعه ولكنه كان ثقيلاً ، ولكنهم تمكّنوا من زحزحته ورفعه بعد مجهود شاقٍ مضنٍ ، حتى أخذ العرق يتصبّب من جبينهم .

رفعوا اللوح الخشبي فظهرت لهم فتحة ضيقة تكفى لأن يهبط منها شخص واحد . ومثبّت فيهـا سلّم خشبىّ يقود إلى



آثار الرعب تبدو على عينى « سلطان » و « مبروكة » ، عندما تبين لهما أن كرتى الضوء . . هى عينا مرجان !

أسفل . . إلى المجهول ! !

تجمّعوا حول الفتحة وأخذوا يطلّون منها ، ولكنهم لم يروا شيئاً سوى الظلام الدامس . وكانت رائحة الرطوبة تهبّ عليهم قويّة من باطن الأرض .

وقفوا وهم يرتعدون من الرهبة ، فقد كان المنظر مخيفاً من الخارج ، فما بالهم بداخل النفق الطويل الذى سيخترقونه إلى أن يصلوا . . . إلى أين ! ربما أسفل الصخرة . . أو ربما داخل الكهف ! . . أو إلى المجهول ! . .

كانوا يفكرون فى (الكارثة) التى جاء ذكرها فى الخريطة أى نوع من الكوارث ، وما هو كنهها ؟ ؟ . .

وكل هذا يتوقّف طبعاً على ما إذا كان حلّهم لرموز الخريطة صحيحاً ! أما إذا كانوا قد أخطئوا الحلّ ، فكان الله فى عونهم ! لأن المغامرة التى سيقدمون عليها خطيرة ووعرة لا يحتمل معها الخطأ ! وإلا فماذا سوف يكون عليه مصيرهم ! يا لها من مخاطرة ما كان أغناهم عنها ! . .

ظلّوا ساكنين واجمين لعدة دقائق إلى أن نطقت عالية بصوت مرتعش : وماذا سنفعل الآن ؟ ؟ فأجابها عامر ببساطة : هيّا بنا . . ماذا ننتظر ! . .

قال عارف : وإذا رجعت مبروكة ومعها ابنها الشرير ولم يجدانا فى الحجرة ! ربما اقتفيا أثرنا . . أو قفلا وراءنا باب النفق وحبسونا بداخله ! . .

فأجابه عامر : لا أظن ذلك . . فلا تضيّع الوقت . هما الآن فى المكتبة منهمكان فى البحث عن الخريطة ! واقترح أن ننزل معاً ، أنت وأنا ، ونترك عالية هنا ، ففى مجيئها معنا مخاطرة كبيرة !

فاعترضت عالية فوراً على تصريحه ، وقالت محتجة : وإذا عادت مبروكة وسلطان وعثرا علىّ وحيدة فى الغرفة ! لا . . لا . . يجب أن نتضامن معاً ، فالواحد فداء الجميع . . والجميع فداء الواحد . . على رأى الفرسان الثلاثة . ومع ذلك فممّ تخافون ! هل سنقابل أسوداً ونموراً ؟ ؟ . .

* * *

بالرغم مما صادف الإخوة الثلاثة من أوقات عصيبة ، ومواقف خطيرة فى مغامراتهم السابقة ، إلاّ أنهم لا يذكرون ما فاق إثارة النزول إلى هذا النفق العجيب !

تقدم عامر يحمل بطاريته ، تتبعه عالية فى الوسط ، ثم عارف فى المؤخرة . كان تقدمهم بطيئاً ، يخطون بحرص

وحذر وصعوبة ، لأن النفق كان ينحدر فى ميل شديد ، ولا عجب فى ذلك فهو يتجه الآن إلى باطن الأرض ، يخترقها حتى يصل أسفل الصخرة !

هذا إذا صحّت الخريطة ! أو بعبارة أدقّ .. إذا صحّت قراءتهم للخريطة !

كانوا يثرثرون لمجرد إبعاد الخوف عن نفوسهم ، ويستمعون إلى صدى أصواتهم يأتى من بعيد ، يرنّ فى أرجاء النفق ويملأ فراغه ..

وهكذا ابتدأت رحلتهم العجيبة إلى عالم المجهول .. وهم لا يعلمون كيف ستنتهى .. أو كيف سيعودون ..

* * *

داخل النفق الرهيب



القط مرجان

واصل الثلاثة تقدمهم على مهل وبخطى بطيئة ، والبطارية تضيء الطريق تحت أقدامهم .

كانت عالية تمسك بطرف جاكتة عامر ، فى حين كان عارف يمسك بطرف فستان عالية ! وكأنهم من متسلقى الجبال . . كل متسلق منهم يُربط فى زميله بحبل .

بدءوا يشعرون بالتعب ، ليس فقط من انحدار النفق ، بل من ضيقه وانخفاض سقفه ، فقد كانوا يزحفون بسرعة السلحفاة ، ورؤوسهم مطأطئة لا يرون إلاّ أرض النفق !

وأخيراً وصلوا إلى مكان من النفق اتّسع عرضه ، وعلا سقفه ، واستقامت أرضه . وهنا فقط تنفسوا الصعداء .

قال عامر : ألا تشعران معى بتيّار من الهواء البارد ؟

فقالت عالية مؤمنة على كلامه : نعم . . لعلّه يصلنا من الكهف . . فأنا أشم رائحة البحر ! . وقال عارف : وأنا أيضاً . . والآن إذا صدقت الخريطة فسنصل قريباً إلى التفرّع الأول على اليسار !

وقالت عالية محذّرة : يجب علينا ألاّ نخطئ لئلاّ ندخل الطريق الثالث الخطر . . فطمأنها عامر قائلاً : على كل حال فنحن لن نحيد يميناً أو يساراً ، بل سنتبع السهام فى الخريطة . .

وصلت قافلتهم إلى التفرّع الأول من الطريق ، وكانوا يسيرون الآن وهم معتدلوا القامة . ثم وصلوا بعد فترة وجيزة إلى التفرّع الثانى .

بدأ الاطمئنان يدخل قلوبهم . . فالخريطة صادقة . . حتى الآن ! ! ! . . إلى أن تلفّت عامر وراءه ليحدّث عالية ، ولكنه ما لبث أن بُهت مما رأى ، وانعقد لسانه عن الحديث ، وكانت آثار الرعب تبدو على وجهه ! فقد شاهد وميض نور أخضر يشعّ فى الظلام وهو يقترب منهم ! ولكن آثار الخوف ذهبت عنه فجأة عندما تبين له أن كُرتى الضوء . . هما عينا مرجان .

كانت عينا مرجان تبرقان كعينى النمر فى الغابة المظلمة . وكان يتبعهم كظلّهم . لقد رفض مرجان البقاء وحيداً فى الغرفة !

أصبحوا الآن أربعة . واصلوا مسيرهم إلى الأمام يتقدمهم مــرجان الذى سبقهم . . وكأنه يستكشف لهم الطريق !

كانوا يقتلون الوقت فى الحديث ، فقالت عالية وهى تتطلّع إلى جدران وسقف النفق : تُرى من حفر هذا النفق ؟ . فأجابها عامر : ليس جدّو عمران بطبيعة الحال . . أو عمّو محروس ، هذا نفق قديم جداً ، والبيوت القديمة كلها تحتوى على سراديب ودهاليز وأنفاق !

وقال عارف : أو ربما حفره جماعة من المهرّبين ! ولكن هل يعلم جدّو بوجود هذا النفق ؟ فأجابه عامر : طبعاً هو يعلم . إذا كان عمّو محروس يعلم بوجوده فلابد أن جدّو يعلم به كذلك !

ثم قالت عالية وهى تستغرق فى الضحك ، وكانت ضحكاتها المتواصلة تسرّى عنهم وسط جـو النفق الخانق المخيف : ومن الجائز أن جدّو وعمّو كانا يلعبان فيه « الاستغماية » عندما كانا فى سنّنا ! !

كان عامر يفكّر فيما قاله عارف : إذا كان المهربون قد حفروا هذا النفق حقيقة ، فلابدّ أن يكونوا قد شقّوا له مخرجاً يصل بهم إلى برّ الأمان .. وهرباً ممّن يقتفى أثرهم .. وأغلب الظن أن يكون هذا المخرج – ويعتبر مدخلاً فى الوقت نفسه عند الضرورة ! – قرب شاطئ البحر .

كان يهمّه وجود هذا المخرج ، حتى إذا قطع عليهم سلطان ومبروكة خطّ الرجعة .. أمكنهم الإفلات من المطاردة عند نهاية النفق .

قال عامر : نحن نقترب الآن من الطريق الثالث الخطر ، فيجب الحذر . ويجب أيضاً أن نراقب مرجان ، وأن نمنعه من دخوله ... ولكن أين مرجان ؟ ؟

أخذ ينادى على مرجان ، ولكنه كان قد اختفى تماماً عن الأنظار !

قالت عالية : ربما رجع مرجان إلى المنزل ، أو سبقنا إلى الأمام ، على كل حال لا خوف عليه ، فللقطط سبعة أرواح ..

تابعوا السير بسرعة ، وكان الأمل يداعبهم فى العثور على الكنز وقد قاربت رحلتهم على النهاية .

لاح لهم الطريق الثالث الخطر . وعندما مرّوا أمامه هبّ عليهم منه نسيم البحر . سكتوا عن الحديث والخوف يتملكّهم ، والتصقوا ببعضهم حتى أصبحوا كشخص واحد يسير على ست أقدام !

وأخيراً وصلوا إلى نهاية المطاف ! فوجدوا أنفسهم فى مكان متسع ، يسدّه حائط من الصخر الأصمّ !

صوّب عامر البطارية على الحائط فوجد فيه ثغرة صغيرة ارتفاعها يقرب من النصف متر ، هى التى كان ينفذ منها الهـواء !

أخذ يدير ضوء البطارية الضعيف هنا وهناك ، فلم يجد شيئاً ، كان المكان خاوياً تماماً كالصحراء الجرداء ! ! . .

كاد اليأس ينتابهم حينما صاحت عالية : انظرا ! هناك . . ! !

فأدار عامر البطارية ونظر فى الاتجاه الذى أشارت عليه ، فاكتشف تجويفاً فى ركن أسفل الحائط الصخرى ! ! .

كان التجويف صغيراً لا يلفت النظر ، عثروا فيه على كيس أسود ! ولما أخرج عامر الكيس وجده ثقيلاً ، ولما تحسّسه وجد فيه شيئاً صلباً .

فقال له عارف وهو يتعجّله : هل وجدت شيئاً ؟ أخرجه بسرعة لنرى محتوياته ! فأجابه عامر وهو يهتز من الفرح : نعم . غالباً هو صندوق صغير !

فتح عامر الكيس الأسود فوجد به صندوقاً متوسط الحجم ملفوفاً فى ورقة اصفرّ لونها ؛ وعلى الورقة كتبت هذه الجملة بالحبر الأحمر :

إلى عمران الطيّب . . من محروس الشقىّ . .

وعندئذ لم تتمالك عالية شعورها فصرخت : أخيراً . . لقد عثرنا على الكنز الثمين ! !

تكلم عامر بهدوء وقال : هذا الصندوق هو ما رسمت الخريطة من أجله . وهذا هو ما تبحث عنه مبروكة . . وابنها سلطان !

فأكمل له عارف كلامه : وما زالا يبحثان عنه حتى هذه اللحظة فى المكتبة . . هيّا افتح الصندوق لنرى ما فيه من نفائس . . .

وهنا تدخّلت عالية معترضة عليهما : كيف نفتحه ! إنه يخص جدّو ، ولا يخصّنا نحن !

سكت عامر وعارف على مضض ، فهما يعلمان جيّداً

أن الكنز لا يخصّهم ، ولكن ألّا يرجع الفضل فى اكتشافه إليهم ؟؟ فلولا مغامرتهم وجهودهم المضنية ، ومخاطرتهم المثيرة ، لما عثر عليه أحـــد ، ولظلّ الكنز الثمين دفيناً إلى الأبد . . .

قال عامر : وكيف سنسلمه إلى جدّو وباب حجرته مغلق ! وكذلك بابنا ! فأجابه عارف : فلنفكّر الآن أولاً فى الرجوع . هيّا بنا فقد تضايقت من الظلام والرطوبة . وأظن أن مرجان تضايق أيضاً ، وسنجده فى انتظارنا يتمدّد على السرير كعادته !

* * *

بدأت رحلة العودة ، وكان عامر يقود الطابور وهو يحتضن الكنز الثمين . وقبل أن يصلوا إلى منحنى الطريق الخطر ، وقد أصبح الآن إلى يمينهم ، على حين كان فى رحلة الذهاب إلى يسارهم ، سمعوا صوتاً لم يكونوا يتوقعونه : هو صوت وقع أقدام ! !

كانوا يتقدمون بسرعة ، وعلى قدر ما تسمح به حالة الطريق ، عندما سمعوا أصواتاً آدمية تختلط مع صوت وقع الأقدام ! !



فتح « عامر » الكيس الأسود فوجد به صندوقاً متوسط الحجم ملفوفاً في ورقة أصفر لونها

توقفوا عن السير فجأة وهم يحاولون الاختباء وراء المنحنى الخطر ! وبعد دقيقة من الانتظار ، مرّت عليهم كدهر ، رأوا شعاعاً ضعيفاً من النور يتحرك ناحيتهم ، ولكنه توقّف فجأة ، ثم ابتدأت الأصوات تتكلم ! ! !

تعرّفوا على الصوت فى الحال ! لاجدال فى أنه صوت سلطان الأجشّ ، وكان يقول : ها هو طريق ثالث يتفرّع إلى اليسار ! ! ! . فأجابه الصوت الثانى قائلاً : فلنأخذ هذا الطريق ! ! ! . وكان صوت مبروكة ، كيف لهم أن يخطئوه ؟ إنهم يميّزون صوتها الرفيع من بين أصوات العالم أجمع .

قال لها سلطان : لابدّ أنهم هنا فى مكان مّا من النفق ! الويل لهم إذا وضعت يدى عليهم ! . فأجابته مبروكة : المهمّ أن نضع أيدينا على الكنز لا عليهم !

ثم سمعوا صوت ضحكة عالية ارتجت لها حوائط النفق ، ومبروكة تقول : عندى فكرة نيّرة ! عندما نعثر عليهم ، ننتزع الكنز منهم إذا كانوا قد عثروا عليه ، ثم نتركهم داخل النفق ونسدّ عليهم الباب ، إلى أن نهرب بعيداً بالكنز . . فما رأيك ؟ ؟

وما إن انتهيا من حديثهما ، حتى بدآ فى التحرك نحوهم ! ولكن حدث ما لم يكن فى الحسبان ! . إذ صدرت صرخة عالية من مبروكة وهى تقول : ها هو القط ! لابدّ أنهم قريبون من هذا المكان ، إن مرجاناً سيقودنا إليهم ! فهم لا يفارقونه ولا يفارقهم .

جرى مرجان بأقصى سرعة ، ودخل فى الطريق الثالث الخطر ! يتبعه سلطان ومبروكة ! . .

انتهز الثلاثة هذه الفرصة الذهبية التى أتاحها لهم مرجان ، وتابعوا السير إلى الأمام فى طريق العودة إلى المنزل .

ولكن عامر توقف بعد لحظة وقال لعارف : ارجع أنت مع عالية إلى المنزل ، وسأتبعكما بعد قليل . سأذهب للبحث عن مرجان إذ لا يمكن أن نتركه وحيداً مع سلطان ومبروكة !

فأجابه عارف : بل سأذهب أنا فهو قطّى وأنا مسئول عنه . . .

ولكن ما إن ختم عارف حديثه ، حتى مرق مرجان أمامهم كالسهم الطائر ، بعد أن ضلّل سلطان ومبروكة ، ثم هرب منهما بخفة دون أن يشعرا به !

وإذا كان هناك رقم قياسى عالمى لاجتياز الأنفاق ،

فلاشك أن الثلاثة المغامرين الصغار قد ضربوه ! فقد وصلوا إلى مدخل النفق فى دقائق معدودات .

تسلّقوا السلم الخشبيّ ، ودخلوا الحجرة الصغيرة المسروقة وهم يلهثون من العدو ، ليجدوا القط مرجان يتمدّد على السرير ، وكأنه وصل توًّا من نزهة جميلة ، وباب الحجرة مفتوح على مصراعيه .

قال عامر : هل سنفعل بهما الآن . . . .

أدرك عارف وعالية ما يدور فى رأس عامر ، إذ كانا يفكّران فى نفس الشىء ! . .

أليس هذا هو ما كان سلطان ومبروكة ينويانه بهم ! ! ! . .

قال عامر : نحن مضطرون إلى ذلك . . ولا مناص من حجزهما فى النفق قبل أن يرجعا . . هذا إذا رجعا سالمين بعد أن دخلا الطريق الخطـر ! والفضل فى ذلك يرجع إلى مرجان !

ثبّتوا اللوح الخشبيّ العريض فى مكانه ، وألقوا عليه ما أمكنهم حمله من الغرفتين حتى تتعذّر إزالته .

وهكذا سجنوا العفريتة مبروكة ، وسلطان الشرير ، فى النفق ، إلى حين أن يتصرّف جدّهم فى أمرهما . .

وبعد أن كلّلت مهمتهم بهذا الانتصار الباهر ، حمل عامر الصندوق الثمين ، وأسرعوا به إلى حجرة جدّهم عمران . . .

كان فى نيّتهم أن يحطّموا باب غرفته إذا تعذّر عليهم فتحه . .

ولكنهم وجدوا أمامهم مفاجأة سارة سعيدة ! فقد كان الباب مفتوحاً ، وسمارة المخلص الأمين يقف أمامه فى انتظار النجدة .

جحظت عينا سمارة عندما شاهدهم ، فقد كانوا اثنان عندما رآهما لآخر مرة . . فإذا بهم الآن ثلاثة ! . . فهو لم يشاهد عامراً من قبل !

صاحت عالية وهى تقول لسمارة : كيف حال جدّو يا سمارة ؟

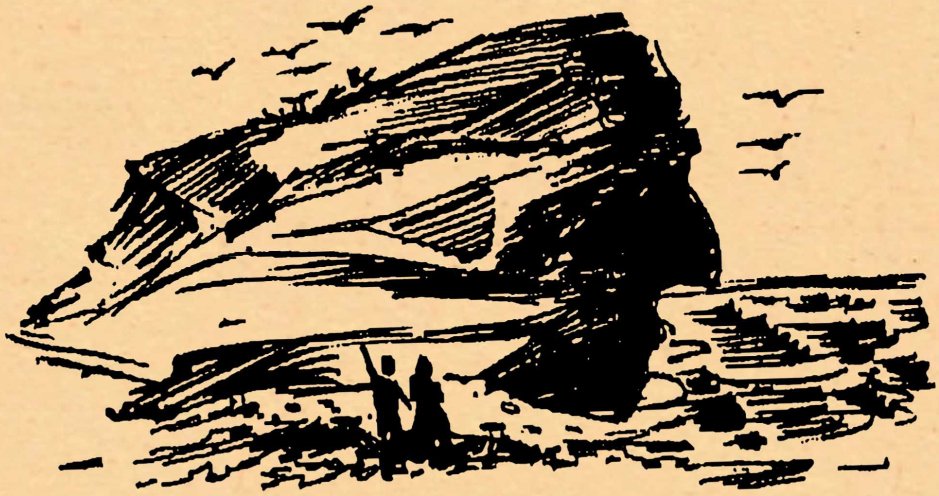
وإذا بصوت عمران يناديهم من الداخل : كيف حالكم يا أولاد . .

تعالوا . . تعالوا ادخلوا . .

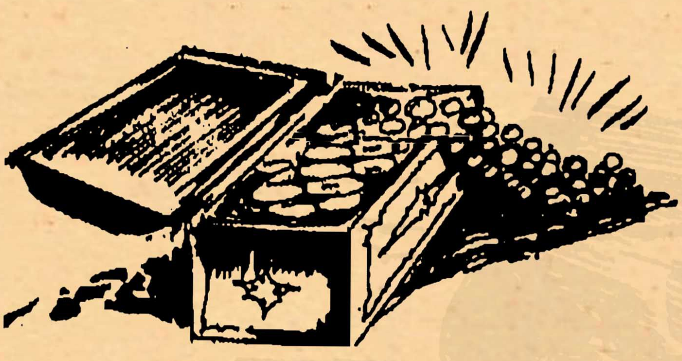
كانت عالية أول من دخل الحجرة ، وارتمت فى أحضان جدّها وأخـذت تقبّله ودموع الفـرح تطفر من

عينيهـا وتسيل على خديها ، وهى تقول له : كيف حالك أنت يا جدّو . . الحمد لله على سلامتك !

* * *



الكنز



كان عمران يرقد على سريره وهو يستعيد نشاطه بعد الحوادث المثيرة التى مرّت به . وكان الأربعة يلتفّــون حوله : عامر ، وعارف ، وعالية ، وسمارة . أما مرجان فقد قفز على السرير وتمدّد عليه بجانب عمران .

وكانوا يتكلمون فى نفس واحد ، كل منهم يريد أن يروى القصة على لسانه .

قال لهم الجدّ : اعملوا معروف ! تكلموا بالدّور ! وإلاّ فلن نصل إلى نتيجة . . ولكن . . وقبل كل شيء . . أين مبروكة وسلطان ؟ ؟

تنحنح عامر وأجابه : لا تحمل همهما يا جدّو . . هما الآن . . يعنى . . فى الحجز ! ! . .

فظهرت أمارات الدهشة على وجه عمران وقال : الحجز ! ! ومن وضعهم فى الحجز . . على كل حال هما يستحقان ذلك وأكثر . .

فقالت عالية وهى تضحك كعادتها : الحجز يعنى . . فى النفق !

ازدادت دهشة عمران وقال : نفق ! أى نفق ! آه صحيح . . طبعاً . . طبعاً . . النفق !

سأله عامر : إذن فأنت تعلم بأمر النفق ! . فأجابه عمران : طبعاً أعلم . . ولكنى كنت نسيته تماماً . كنا نلعب فيه أنا وأخى محروس فى طفولتنا ، ولكن والدنا منعنا من ذلك بعد أن كدنا نهلك فيه ذات مرة ، وسدّه بألواح خشبية ثقيلة . .

ثم نظر إليهم طويلاً ، وكأنه يرتاب فى صحة كلامهم : أتقصدون أنكم كنتم فى النفق مع مبروكة وسلطان ! وهل هما مازالا فيه تحت الأرض هناك ؟ !

قالت له عالية وكأنها تريد أن تبرّر فعلتهم : نحن نشعر بفعلتنا القاسية معهما ، ولكنهما كانا ينويان بنا شراً ، وهذا جزاء عملهما !

فقال عمران وهو يغمز بعينه : والآن مبروكة وسلطان . . في الحفظ والأمان ! إلى أن نستدعى لهما رجال الأمن . . ونضعهما فى الليمان !

جلسوا حوله على السرير وهم يتحرّقون على سماع قصته المثيرة وما فعلته به مبروكة وسلطان ، فى حين وقف سمارة بجواره ساكناً .

بدأ عمران وهو يوجّه حديثه إلى عارف وعالية : بعد أن اجتمعت بكما فى المكتبة لآخر مرّة ، وأطلعتكما على الخريطة ، ثم غادرتما المنزل للذهاب إلى الشاطئ . . هل تذكران ذلك ؟

فقالت له عالية : طبعاً . . وكيف ننساه ! عندما دخلت علينا مبروكة فجأة بدون استئذان . .

فقال عمران : تماماً . بعدها جلست وحيداً فغلبنى النعاس ، ولكنى استيقظت فجأة على صوت دقّ عنيف على الباب الخارجي للمنزل ، ثم دخلت مبروكة لتخطرنى أن رجلاً اسمه سلطان يطلب مقابلتى !

فقال عارف : لقد قابلنا سلطاناً أمام الحظيرة ، وذكر لنا أنه يريد مقابلتك . . ولم نكن نعلم أنه شرير أفّاك . .

وأنه ابن مبروكة ! !

واصل عمران حديثه ، وقد ظهرت علامات الحزن على وجهه ، بعد أن فوجئ بهذا الخبر الذى لم يكن يخطر له على بال : ابن مبروكة ! ! !

يا للعينة الشيطانة .. الآن فقط فهمت أشياء كثيرة وضحت لى . ولكن هذا لا يهم الآن .. لقد انقضى أمره ... فلنرجع إلى مبروكة .. لما سألتها ماذا يريد هذا الرجل ؟ أجابت بأنه يريد شراء المنزل ! فقلت لها : ولماذا يسألك أنت ؟ أما كان الواجب عليه أن يفاتحنى أنا صاحب المنزل ! أبلغيه أن المنزل ليس للبيع ، وأنى أرفض مقابلته !

صمت عمران قليلاً لكى يلتقط أنفاسه ، ثم استمر فى روايته : ولكنها قالت لى : حسناً . سأبلّغه ذلك ، ثم سأرجع إليك لكى أرافقك إلى حجرتك ! ! .. فشككت فى الأمر ، وأنها تريد أن تتخلّص منى . فغضبت ونهرتها بشدة وقلت لها : بل سأمكث هنا فى المكتبة ! ولن أتحرك من هنا ! وهدّدتها بالطرد من خدمتى لوقاحتها ..

ثم توقف عن حديثه ، وكان يضحك كلما تذكر مبروكة وهى تحاول فى هذه اللحظة أن تتخلّص من سجنها فى النفق ،

فلا تجد لنفسها خلاصاً !

وبعد أن هدأ قليلاً تابع حديثه : تضايقت مبروكة لأننى صممت على الجلوس فى المكتبة ، ولكنها خرجت – حسب قولها – لتصرف الزائر الغريب . وهذا ما كنت أظنّها ستفعله . ولابدّ أنى غفوت ثانياً ، إلى أن صحوت على أصوات تتكلم ، أحدها لمبروكة ، والثانى لابنها الشرير . . و . .

وقبل أن يتم حديثه ، قاطعه عارف وهو يتكلم بسرعة مائة كلمة فى الدقيقة : نحن نعرف ماذا فعلت أنت بعد ذلك يا جدّو . . اندفعت إلى المكتبة . . وأخرجت كتاب جزيرة الكنز . . وسحبت منه الخريطة . . ووضعت الكتاب على الرفّ بسرعة . . ولكنك أخطأت مكانه الأول ربما من باب العجلة ! !

فقال له عمران : يا لك من ولد ذكىّ . . وكيف عرفت ذلك ؟

فأجابه عارف : لأننا لما رجعنا للكتاب فيما بعد وجدناه فى مكان مختلف . كما أن الخريطة اختفت من بين صفحتى ٧٥ و ٧٦ . ولكن أخبرنا الآن ماذا حدث بعد ذلك ؟

قال عمران : دخلت مبروكة وسلطان المكتبة ، وكانت

الخريطة ما زالت فى يدى ، ولكنى أخفيتها بسرعة . . فى جيبى الداخلى على ما أتذكّر ، ووجدت أنه من الأصوب والأسلم أن أترك لهما المكتبة بما فيها . . فما خوفى والخريطة أصبحت فى حوزتى ! ! ولا قدرة لى على مقاومتهما ، ثم صعدت إلى حجرتى مستسلماً ، خوفاً من ابن مبروكة الذى كان يبدو كالوحش الكاسر . ولكن اللعينة كانت تتبعنى كقصّاص الأثر ، وما إن فتحت الباب حتى دفعتنى بقوة وعنف داخل الغرفة . وكان سمارة يشاهد ما يحدث وهو يقف مختبئاً فى ركن بالطرقة . . .أليس كذلك يا سمارة ؟ . . والآن حلّ دورك يا سمارة لتروى قصتك ! . .

كان سمارة يقف منزوياً ، ولكنه كان يشعر بالفخر والزهو فى قرارة نفسه . . أليس هو الآن بطلاً حقيقياً من أبطال هذه القصة المثيرة ؟

قال سمارة : كنت فى الحظيرة عندما قرّرت أن أعترف لسيدى عمران بسرّ . . . .

ولكن عالية سبقته وحدثته قائلة : عرفنا يا سمارة أنك تحتفظ بمعزة اسمها ظريفة ! وسمعناها وهى تمأمئ ، وأنا متأكدة أن جدّو لا يمانع فى أن تحتفظ بها .

قال عمران على الفور : ولماذا أمانع ؟ مبروكة هى التى تمانع ! .

تشجّع سمارة بهذا القول وتابع حديثه : وجدت ظريفة تائهة فى الصحراء المجاورة ، فأخذتها إلى الحظيرة المهجورة وخبأتها هناك لمعالجة ساقها ، لأنها كانت تعرج ، ولكن مبروكة اكتشفت المعزة . .

قالت عالية لسمارة : نعرف يا سمارة أنك تحبّ المعزة وتعطف وتحنو عليها ، فقد سمعناك تتحدث معها وتلاغيها . . وكنت ستبوح لها بسرّ ! ولكننا قرّرنا أن نترك المكان قبل أن نستمع لهذا السرّ . .

نظر إليهما سمارة نظرة الإكبار والاحترام ، ثم واصل روايته : وفى يوم . . طلبت منى مبروكة مساعدتها فى البحث عن شىء معيّن فى المكتبة ، وأنا أعلم أنه لا يخصها ، فما شأنها بالمكتبة ! ! . . فرفضت تلبية رغبتها . . فهدّدتنى بذبح المعزة إن أنا أفشيت سرّها ! وهذا هو السرّ الذى قلته فى أذن ظريفة !

قال عمران : سمارة ولد أمين ، وأنا مدين له بالكثير فقد أنقذ حياتى ! أكمل القصة يا سمارة . .

قال سمارة : ولمّا ذهبت لأبلّغ سيدى عمران ، فوجئت بأن رأيت مبروكة وهى تدفعه داخل الحجرة بقسوة متناهية ، وتقفل بابها بالمفتاح وتضعه فى جيبها . . ثم انصرفت مسرعة . .

قال له عمران : ولكنك نسيت أن تذكر شيئاً هاماً يا سمارة !

فاستدرك سمارة وقال : صحيح . . قبل أن تدفعه مبروكة داخل الحجرة . . رأيت شيئاً يسقط من جيبه ، ولكن لحسن الحظ لم تتنبّه مبروكة إليه ، فذهبت بعد انصرافها والتقطته ، فوجدته ورقة صفراء بها رسم يشبه فرع الشجرة ! فاحتفظت بها فى جيبي إلى حين أن تفتح مبروكة الباب وأسلّمها لسيدى عمران .

فقال عمران : نعم . . كان الباب مقفلاً علىَّ ، وأنا أرقد على سريرى فاقد الوعى . . لأن مبروكة ناولتنى حبوباً منوّمة بدلاً من الدواء ! ولكن سمارة جاء بمفاتيح المنزل كلها وجرّبها فى الباب حتى فتحه . . وأيقظنى برش الماء البارد على وجهى .

وجهت عالية حديثها إلى سمارة قائلة : وماذا فعلت بالورقة الصفراء يا سمارة ؟ . .

فأجابها : أدركت أن هذه الورقة هامة ، وخفت أن تكتشفها مبروكة معى .. لأنها كانت تراقبنى وتتعقّبنى ، فقررت أن أعطيها لكما .. ولمّا سنحت لى الفرصة وضعتها تحت الصحن فى صينية الطعام .

فصاحت عالية : إذن هو أنت الذى وضعت الورقة على الصينية ! !

فأجابها سمارة : نعم . وعندما أتيت بالصوانى إلى غرفتكما كان فى نيتى أن أتحدث معكما ، ولكن مبروكة كانت تتسَمّع علىّ ، ففكرت فى تأجيل الحديث إلى حين رجوعى لاسترداد الصوانى .

فقال له عارف : كفى يا سمارة ! فباقى قصتك نعرفه ، وإن كنا سمعناه من وراء الأبواب ولم نره ! .. فقد حدث أن تتبعّك سلطان إلى الدور العلوى .. وقذف بك من أعلى السلم . وكنا نحن خائفين على حياتك ونريد مساعدتك ، ولكن لم يكن بيدنا حيلة فبابنا مغلق علينا ، ولكننا شاهدناك من النافذة وأنت تعرج وتجرى نحو الحظيرة ..

فأجابه سمارة : نعم . هربت من الرجل الشرير .. وذهبت للاطمئنان على ظريفة لئلا تكون مبروكة ذبحتها .

صمتوا جميعاً . . إلى أن وجه عامر حديثه إلى عمران قائلاً : ولكن لماذا يا جدّو لم تخطر والدنا ، أو تذكر لنا شيئاً عن وفاة عمّو محروس ؟

فكّر عمران قليلاً وقال : عندما سقط أخى محروس من فوق الصخرة ، كنت أعتقد أنه لاقى حتفه قضاءً وقدراً . . ولكن الإشاعات راجت بأنه مات قتيلاً . . فلم أذع النبأ وقتئذ حتى تظهر الحقيقة .

فقال عامر : يمكنك الآن أن تعلن النبأ . . فقد اعترف سلطان بأنه هو الذى دفعه من فوق الصخرة . . وقد سمعناه بأنفسنا وهو يصرّح بذلك لمبروكة .

فقال عمران والحزن يكاد يعصره : الحمد لله الذى جاء هذا الكشف أخيراً على أيديكم . .

أخذ عمران يجول بنظراته بينهم ، إلى أن وقعت عيناه على عامر ، وكان ما زال يحمل الصندوق بين يديه . فقال له : والآن ما هى قصتكم ، وكيف حبستم مبروكة وسلطان فى النفق ؟ وما هذا الذى تحمله بين يديك ؟

فأجابه عامر : هذا الصندوق هو نهاية قصّتنا ، ولكن يحسن أن تسمع بدايتهــا . .

كان عمران يستمع إلى قصتهم باهتمام زائد حتى ختمها عامر . .ثم قدّم إليه الصندوق . .

وعندما قرأ عمران ما كتب على الورقة الصفراء بالمداد الأحمر :

إلى عمران الطيّب . . من محروس الشقى ، اغرورقت عيناه بالدموع وقال : هكذا كان أخى محروس دائماً . . . ولد شقىّ . . ولكنه طيّب جداً .

وضع عمران الصندوق أمامه على السرير . فأخذ الجميع يتطلّعون إليه فى لهفة . وقد تعمّد عمران أن يبطئ فى فتح الصندوق ليزيد من إثارتهم . وأخيراً لم تتمكن عالية من ضبط شعورها ، فصاحت فيه : افتح بسرعة يا جدّو !

فتح عمران الصندوق . . وظهر ما فى داخله . . كانت ثروة طائلة من الجنيهات الذهبية . . وبعض الفصوص الماسية ، يخطف وميضها الأبصار !

ظلّوا جميعاً ساهمين وهم لا يصدّقون أعينهم ، إلى أن سألته عالية : وماذا ستفعل يا جدّو بهذه الثروة الكبيرة ؟

نظر عمران إليهم فى عطف وحنان ثم قال : أنا لم أتعب فى هذه الثروة . . وماذا عساى أن أفعل بها الآن فى هذه

السنّ المتقدمة . .

سيأخذ هذه الثروة من تعب وعثر عليها . . أنتم الثلاثة . . ولسمارة نصيب كبير فيها جزاء أمانته وإخلاصه وشجاعته . .

فقال له عامر : من واجبنا أن نتعب لردّ الحق إلى أصحابه ، والعدل إلى نصابه . فنحن إن قبلنا الثروة فسوف نقبلها كحق يؤول لنا كأحفادك ، وليس جزاءً أو مقابلاً لما فعلناه .

نظر الجدّ إلى أحفاده نظرة الإكبار وقال : جزاكم الله خيراً ، وهذا ما كنت أنتظره من أحفادى الشجعان ، فقد أثبتم أنكم رجال .

ضحكت عالية على جملته الأخيرة ، وعاودها مرحها المعهود وقالت : وحتى أنا يا جدّو ؟ . .

فضحك عمران وقال لها : إنما أقصد أن لك شجاعة الرجال فقط يا عالية . . .

* * *

هجم عليه المغامرون الثلاثة يقبّلونه ، فى حين وقف سمارة فى مكانه بلا حراك . . أما مرجان فكان يغطّ فى نوم عميق .

وبعد أن هدأ الحال ، أخذ عمران يضحك عالياً ولما سألوه : ما الذى يضحكك الآن يا جدّو ؟

أجابهم قائلا : تصوّروا ! ! لولا مرض عارف وعالية بالإنفلونزا . . . لظلّ هذا الكنز مدفوناً إلى الأبد ! !

* * *

(تمت)

اللغز القادم :

لغز الدائرة الخضراء

كانت محطة التجسس المتنقلة هى أخطر ما فكر فيه العدو المجهول، فلم يكن ممكناً رصد موجاتها العاملة . . ولكن هذه المحطة توقفت بواسطة المغامرين الخمسة . . ثم حدث شىء لم يكن فى الحسبان . . العميل الذى كان يتعامل مع المحطة استطاع الفرار .

ووضعت خطة الدائرة الخضراء للقبض عليه .

ما هى الدائرة الخضراء ؟

من الذى نفذها ؟

هل وقع العميل فى النهاية .

اقرأ معى هذه المغامرة المثيرة التى ستشدك من أول كلمة إلى آخر كلمة .

رقم الإيداع	١٩٧٧/٤٥٣٣
الترقيم الدولى	ISBN ٩٧٧ - ٢٤٧ - ٢١ - ٧

٨٨/٧٧/ق

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)

عامر عالية عارف

لغز الخريطة العجيبة

ما هو لغز الخريطة العجيبة ؟

هي خريطة ناقصة مبهـــمة، اكتشـــفها الجد "عمران" ، واستـــعان بأحفاده المغامرين "عامر" و"عارف" و"عالية" على فك رموزها. ترى مـــاذا تكشف عنه هذه الخريطة؟

يجتاز المغامرون المخاطرات الرهيبة، ويتعرضون لدسائس ومؤامرات للوصول إلى فك طلاسم هذه الرموز

هل ينجحون؟

هذا ما ستعرفه في هذا اللغز المثير.

دار المعارف



عامر عالية عارف



لغز الخريطة العجيبة

ما هو لغز الخريطة العجيبة ؟

هي خريطة ناقصة مبهمة، اكتشفها الجد "عمران"، واستعان بأحفاده المغامرين "عامر" و"عارف" و"عالية" على فك رموزها. ترى ماذا تكشف عنه هذه الخريطة؟

يجتاز المغامرون المخاطرات الرهيبة، ويتعرضون لدسائس ومؤامرات للوصول إلى فك طلاسم هذه الرموز

هل ينجحون؟

هذا ما ستعرفه في هذا اللغز المثير.

دار المعارف